بلاغة الوصف في الحديث النبوي من خلال الصحيحين
دراسة بلاغية تحليلية

محمد أبوالعلا الحمزاوي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة جازان

المُلَخّص

هذا البحث دراسة بلاغية تحليلية للوصف في الحديث النبوي من خلال الصحيحين (البخاري ، ومسلم) ، ويتضمن تعريف الوصف عند اللغويين ، والبلاغيين ، والنحويين ، وبيان العلاقة بين الوصف والتصوير ، وعلاقته بالخيال ، وتنوع الوصف في البيان النبوي . وبعد ذلك يأتي التطبيق على بعض أحاديث الوصف في الصحيحين ، وبيان ما فيها من أسرار الجمال ، ودقة الوصف ، مع استخراج خصائص الوصف من خلال التطبيق والتحليل ، وتأتي الإشارة إلى هذه الخصائص ، مع بيان مواضع أحاديث الوصف الأخرى في الصحيحين في نهاية البحث . ولقد جمعت بين الاتجاه العلمي ، والاتجاه الأدبي في التحليل البلاغي ؛ نظراً لأهمية الأخير وأثره في إبراز أسرار الجمال في الحديث ، ونقله للإحساس بجمال النص إلى القارئ بعيداً عن الاصطلاحات البلاغية التي لا يعرفها إلا المتخصصون ، وذلك مع عدم إغفال الأول لأهميته. ولقد اقتصر البحث على الصحيحين لشهرتهما ، وصحتهما ، وكثرة أحاديث الوصف فيهما ، وللإيجاز في البحث من ناحية أخرى . وهذا لا ينفي صحة أحاديث الوصف الأخرى في كتب السنة. ولقد سرت في التطبيق على ترتيب الكتب والأبواب في الصحيحين مع تقد يم منهج البخاري لما ضمنه في أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار بما فيها من الدقة والفقه وحسن الترتيب . أما إذا كان الحديث في صحيح مسلم وحده فاعتمد على ترتيبه . وهذا المنهج يسهل على القارئ مراجعة الحديث في كتابه وبابه.

الكلمات المفتاحية: بلاغة الوصف، أحاديث الوصف، دراسة بلاغية، البيان النبوي، تنوع الوصف، بلاغيين.

مُقَدِّمَة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على صاحب الحوض المورود ، واللواء المعقود ، من أوتي جوامع الكلم ، وروائع الحكم ، محمد بن عبد الله ، إمام البلغاء ، وسيد الفصحاء.

وبعد فإن أحاديث نبينا ﷺ قد حوت صنوف البلاغة ، وألوان الجمال والفصاحة ، وعبرت أدق تعبير عن سمو النفس التي خرجت منها ، وبينت المنبع العذب الذي نهلت منه ، وكما يقول الجاحظ عن بلاغته ﷺ « : ... فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام ، وقلة عدد الكلام ... ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط هو أعم منه نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين فحوى من كلامه ﷺ (١) وهذا الجمال الفني في بلاغته ﷺ إنما يرجع إلى سموه الروحي ، واتصاله بالملأ الأعلى ، حيث أراد الله عز وجل أن يكون النبي بدعوته نقطة تحول في حياة البشرية وتاريخها . ولقد بدأ في أمة تنقاد للبيان ، وتخضع لسلطان الفصاحة ، فلا عجب أن كان أبلغهم وأفصحهم « فكلامه كلما زدته فكراً زادك معنى ، وتفسيره قريب كالروح في جسمها البشري ، ولكنه بعيد كالروح في سرها الإلهي ... ، فهو لسان وراءه قلب وراءه نور وراءه الله جل جلاله (٢) ولأجل

---

(١) البيان والتبيين ١٧/٢ ، ١٨ للجاحظ – ط دار الجيل – (١٤١٠) هـ (١٩٩٠) م.

(٢) وحي القلم ٣/٦–٩ للرافعي – ط دار الكتاب العربي – بيروت .

البريد الإلكتروني : mohamed_elhamzawy2001@yahoo.com

ذلك بنيت البلاغة النبوية على أصول ودعائم(٣) ومع مكانة هذا البيان النبوي ، وما له من شرف ومنزلة في دنيا الناس ، لم **نحظ بدراسات بلاغية كثيرة** له في تراث الإسلام الحفيل تتناسب مع مكانته ومنزلته، ونجد في كتب الأدب والبلاغة إشارات موجزة إلى منزلة البيان النبوي ، أو ذكر لبعض الخطب والأحاديث التي تشتمل على أسرار بلاغية وهي أحاديث معروفة ومشهورة ينقلها اللاحق عن السابق (٤)كما في البيان والتبيين للجاحظ ، والمثل السائر لابن الأثير ، وغيرهما من كتب البلاغة والأدب. وكأن بلاغته ﷺ تنحصر في هذه الأحاديث دون غيرها. **ولقد قام بعض الباحثين العصريين بمحاولات طيبة، وجهود مخلصة لدراسة البيان النبوي**(٥) ، وهي بحاجة إلى إضافة باستمرار لنكشف للناس عن أسرار هذا البيان المبدع ، ولسد العجز في مكتبتنا العربية في هذا الجانب المهم . ولقد لاح لي فيما يتصل بناحية التصوير في البيان النبوي جانب « **الوصف** » ، ولقد كتبت هذه الصفحات إسهاماً بجهدي المتواضع لخدمة البيان النبوي في هذه الناحية . **ولكن هناك عدة أمور تتصل بمنهج البحث وخطته ، ولابد من بيانها قبل الشروع فيه.**

أولاً– هذا البحث يقوم على دراسة الوصف في البيان النبوي من خلال الصحيحين (البخاري ومسلم)(٦) ، ولقد تتبعت الأحاديث التي اشتملت على ألوان من الوصف فيهما دون غيرهما **لشهرتهما ، وكثرة أحاديث الوصف فيهما ، مع صحتهما ، وللإيجاز في البحث من ناحية أخرى**. ولا أدعي أنني ألممت بكل أحاديث الوصف فيهما محللاً ومبيناً ، بل أتناول بعضها بالتحليل البلاغي مع الإشارة إلى المواضع الأخرى لمن أراد التوسع . ومما تجدر الأشارة إليه أن هذا الإيجاز في البحث لاينفي صحة أحاديث الوصف الأخرى في كتب السنن وغيرها من دواوين السنة ، ولكن المقام هنا مقام الإشارة لا الحصر ، كما أن ما في الصحيحين مجمع على صحته ومقدم على غيره كما ذكر المحققون من العلماء(٧)

ثانياً– منهج التحليل للأحاديث المشتملة على الوصف يقوم على الجمع بين اتجاهين : الاتجاه العلمي، والاتجاه الأدبي ، مع ظهور الاتجاه الأدبي نظراً لأهميته ودوره في إبراز أسرار البيان النبوي . ولكن العناية بالمظهر الفني لا تعني إغفال الجانب العلمي لأن إغفاله معناه الانزلاق إلى ميدان الأهواء والأذواق الساذجة ، وهذا يسلمنا إلى فوضى لا مثيل لها(٨) ، وإنما من غايات الاتجاه الأدبي نقل الإحساس بجمال النص إلى المتلقى أو القارئ بعيداً عن الناحية الاصطلاحية التي لا يعرفها إلا المتخصصون ، والبواعث الحقيقية لهذا الاتجاه إنما ترجع إلى القرآن الكريم ، وأحاديث النبي لما حوياه من صنوف الجمال ، مع مخاطبتهما للعقل والوجدان .

ثالثاً– التطبيق على الأحاديث المشتملة على الوصف يسير على ترتيب الكتب والأبواب في الصحيحين (البخاري ومسلم) مع تقديم منهج البخاري في التبويب لما ضمنه في أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار بما فيها من الدقة والفقه ، وحسن الترتيب(٩) ، أما إذا كان

---

(٣) يرى الرافعي أن بلاغة النبي ﷺ بنيت على ثلاث دعائم : الخلوص ، والقصد ، والاستيفاء . والتفصيل في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٨٢– ط مكتبة الإيمان – ط أولى – (١٤١٧) هـ

(٤) مثل قوله ﷺ : « هذا حين حمي الوطيس « ، وقوله : « هدنة على دخن « . والحديث الأول أخرجه مسلم من حديث العباس بن عبد المطلب – كتاب الجهاد – باب غزوة حنين – ١١٦/١٢ . والحديث الثاني أخرجه أبو داود من حديث حذيفة – كتاب الفتن والملاحم – باب ذكر الفتن ودلائلها – ٢١٢/١١

(٥) منها : كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي في الجزء الخاص بالبيان النبوي ، وبحث في بداية الجزء الثالث من كتابه وحي القلم ، والحديث النبوي من الوجهة البلاغية للأستاذ الدكتور / عز الدين السيد ، والبيان النبوي للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ، والتصوير الفني في الحديث الشريف للأستاذ الدكتور / محمد لطفي الصباغ ، والبيان المحمدي للأستاذ الدكتور/ مصطفي الشكعة ، وغيرها من البحوث والدراسات .

(٦) البخاري هو أبوعبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي أمير المؤمنين في الحديث توفي سنة (٢٥٦) هـ ، وكتابه « الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه « ومسلم هو أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري توفي سنة (٢٦١) هـ ينظر مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي – ط دار إحياء التراث العربي ، وهدي الساري مقدمة فتح الباري ص ١٠، ٥١٨ لابن حجر – ط الرياض.

(٧) تدريب الراوي ٧٤/١ للسيوطي - ط دار الكتاب العربي – (١٤١٧)هـ ، وقواعد التحديث ص ٨٣ للقاسمي – ط دار الكتب العلمية .

(٨) ينظر في معالم الاتجاهين الأدبي والعلمي كتاب تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية للأستاذ الدكتور / مهدي صالح السامرائي – ط المكتب الإسلامي .

(٩) اتفق العلماء على أن البخاري أصح من مسلم وأكثر فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة ، كما صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ، ويعترف بأنه لا نظير له في علم الحديث . وهذا هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الإتقان والحذق ، والغوص على أسرار الحديث . ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/١، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٢٢،

الحديث موضوع البحث في صحيح مسلم فقط، فأعتمد على ترتيبه . وهذا المنهج يسهل على القارئ الرجوع إلى الحديث في كتابه أو بابه .

وبعد هذه المقدمة أنتقل إلى فصول البحث ومباحثه، حيث يتضمن هذا البحث ثلاثة فصول ، وخاتمة ، وفهارس.

الفصل الأول : الوصف ومعناه ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول : الوصف عند اللغويين والبلاغيين والنحويين .

المبحث الثاني : العلاقة بين الوصف والتصوير .

المبحث الثالث : العلاقة بين الوصف والخيال .

المبحث الرابع : تنوع الوصف في البيان النبوي .

الفصل الثاني : بلاغة الوصف في الحديث النبوي من خلال الصحيحين ، وهو الجزء التطبيقي والتحليلي من البحث .

الفصل الثالث : خصائص الوصف في البيان النبوي ، مع بيان مواضع أحاديث الوصف الأخرى في الصحيحين لمن أراد التوسع .

وبعد ذلك تأتي الخاتمة متضمنة أهم النتائج بإيجاز ، يليها ثبت المصادر والمراجع ، ثم فهرس الموضوعات .

والله أسأل أن يتقبل منا صالح العمل ، وأن يتجاوز عما في هذه الصفحات من زلة قدم ، وأن يصوب فهمي ، ويسدد قلمي ، وأن يجمع بيننا وبين حبيبه وخليله ﷺ في جنات النعيم . إنه سميع قريب مجيب .

* * *

الفصل الأول : الوصف ومعناه

المبحث الأول: الوصف عند اللغويين والنحويين والبلاغيين

الوصف عند اللغويين:

« الوصف من وصف الشئ له وعليه وصفاً وصفة: حَلاَّه، والهاء عوض من الواو، وقيل: الوصف المصدر والصِّفَة: الحِلْيَة، وقال الليث: الوصف وصفك الشئ بحليته ونعته.. وقوله عز وجل: ﴿... وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(١٠) أراد ما تصفونه من الكذب(١١). والوصف أصله من الكشف والإظهار.

يقال وصف الثوب الجسم إذا نم عنه ولم يستره .

والوصف: ما ينعت به الشئ من صفات ونعوت، وقوله تعالى: ﴿... وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ ...﴾(١٢) أي تقول الكذب وتحققه(١٣) ويقال: هو مأخوذ من قولهم: وصف الثوب الجسم إذا أظهر حاله وبين هيئته(١٤) والوصف والصفة مترادفان عند أهل اللغة، والمراد بالوصف ليس صفة عرضية قائمة بجوهر كالشباب والشيخوخة ونحوهما، بل يتناول جوهراً قائماً بجوهر آخر يزيد قيامه به حسناً له وكمالاً، ويورث انتقاصه عنه قبحاً له ونقصاناً(١٥)

وفي التعريفات: الوصف: عبارة عما دل على الذات باعتبار معنى وهو المقصود من جوهر حروفه، أي يدل على الذات بصفة كأحمر فإنه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود وهو الحمرة. والوصف والصفة مصدران كالوعد والعدة»(١٦) ومن خلال كلام اللغويين حول الوصف يتضح لنا أن الوصف: توضيح الشئ وإظهاره، وبيان حاله وهيئته.

أما عن الوصف عند البلاغيين والنقاد: فلقد عرف

وهدي الساري ص١٧،٤٩٤،٤٩٧لابن حجر، وتدريب الراوي ٧٢/١

(١٠) من الآية (١١٢) من سورة الأنبياء.

(١١) أساس البلاغة ٥١٠/٢ للزمخشري – ط دار الكتب – ط ثانية – (١٩٧٢) م ، واللسان مادة «وصف» ٣٥٦/٩– لابن منظور – ط دار صادر بيروت– ط ثالثة (١٤١٤هـ) (١٩٩٤م)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ٢٢٣، ٢٢٤ للفيروزابادي – ط المكتبة العلمية بيروت .

(١٢) من الآية (٦٢) من سورة النحل.

(١٣) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية صـ٥٧٦ للأستاذ/ محمد إسماعيل إبراهيم– ط دار الفكر– ط ثالثة (١٣٨٨هـ) (١٩٦٨م).

(١٤) المصباح المنير مادة « وصف « ص ٢٥٤ للفيومي – ط مكتبة لبنان – (١٩٨٧) م .

(١٥) الكليات صـ٩٤٢ لأبي البقاء الكفوي– ط مؤسسة الرسالة– ط أولى (١٤١٢هـ).

(١٦) التعريفات صـ٣٢٦ للجرجاني– ط الريان. أما عند النحويين فالصفة : الاسم الدال على بعض أحوال الذات نحو طويل وقصير ، والذي تساق له الصفة هو التفرقة بين المشتركين في الاسم ، والصفة والنعت واحد ، وذهب بعضهم إلى أن النعت يكون بالحلية نحو طويل وقصير ، والصفة تكون بالأفعال نحو ضارب وخارج والصفة : لفظ يتبع الموصوف في إعرابه تحلية وتخصيصاً له بذكر معنى في الموصوف أو في شئ من سببه ، والصفة لا تكون إلا مأخوذة من فعل أو راجعاً إلى معنى الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة . شرح المفصل ٤٦/٣– ٤٨ لابن يعيش النحوي – ط عالم الكتب ، ولسان العرب ٣٥٧/٩ .

قدامة بن جعفر الوصف بقوله: «هو ذكر الشئ بما فيه من الأحوال والهيئات. ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم أظهرها فيه وأولاها، حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحس بنعته»(١٧).

ويقول ابن القيم: «والوصف أصله الكشف والإظهار. وأحسنه ما يكاد يمثل الموصوف عياناً ولأجل ذلك قال بعضهم: «أحسن الوصف ما قلب السمع بصراً، ومنه في القرآن العظيم كثير مثل قوله تعالى في وصف البقرة التي أمر بنو إسرائيل بذبحها لما سألوا أن توصف لهم بقولهم: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ... ﴾(١٨) وقوله لما سألوا أن يصف لهم لونها: ﴿ ... قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾(١٩) وقوله لما سألوه بيان فعلها: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا.. ﴾(٢٠) فجمع في هذه الآية جميع الأحوال التي يضبط بها وصف الحيوان، فإن الحيوان عند البيع والإجارة، وسائر وجوه التمليكات يحتاج فيه إلى معرفة سنه ولونه وعمله، ثم يفتقر فيه إلى معرفة عيوبه فنفي الله سبحانه وتعالى عن تلك البقرة كل عيب بقوله ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ فجمع في هذه الآية جميع وجوه الوصف، فإنه في الأول وصف سنها، وفي الثاني وصف لونها، وفي الثالث وصف خلقها وعملها... ومن هذا الباب في القرآن كثير لا يحصى، وكذلك السنة النبوية، وكذلك الشعر...»(٢١)

ويكاد البلاغيون ، والنقاد يجمعون على أن أجود الوصف هو الذي يستطيع أن يحكي الموصوف حتى يكاد يمثله عياناً للسامع، وذلك بأن يأتي الشاعر بأكثر معاني ما يصفه وبأظهرها فيه وأولاها بأن يمثله للحس. وفي ذلك يقول نجم الدين بن الأثير:« وأحسن الوصف ما نعت به الشئ حتى يمثل للسامع حضور المنعوت، وتنزيل النعوت التي نعت بها على الأجزاء الموصوفة(٢٢ ٢٣).

ومن خلال كلام البلاغيين والنقاد يلاحظ عدة أمور:

أولاً– الوصف ذكر الشئ بأحواله وهيئاته.

ثانياً– أجود الوصف ما اشتمل على أكثر المعاني التي يتركب منها الموصوف .

ثالثاً– أحسن الوصف هو الذي يستطيع أن يحكي الموصوف حتى يكاد يمثله عياناً للسمع فيقلب السمع بصراً.

وكلام النقاد وإن كان حول الوصف كغرض من أغراض الشعر إلا أنه تحديد دقيق لهذا الفن من فنون الكلام؛ ولهذا أخذ به ابن القيم وطبقه على بعض آيات القرآن موضحاً أنه كثير في القرآن، والسنة، وكلام العرب، وما يعنينا هنا هو فن «**الوصف في الحديث الشريف**». وسيتضح لنا إن شاء الله تعالى أن فن الوصف في الحديث الشريف ينطبق عليه ما ذكره البلاغيون والنقاد حول تعريفه، كما سيتضح لنا أثره في بلاغة البيان النبوي . ومما يتصل بالبحث بيان العلاقة بين الوصف والتصوير.

* * *

المبحث الثاني:

العلاقة بين الوصف والتصوير

«الوصف وسيلة من وسائل التصوير المتعددة، فلقد اعتمد العرب على وسائل كثيرة في التصوير : كالتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والوصف، والقصة، والتجسيم، والتشخيص ، والموازنة، والإشارة، والرسم» ، والوصف من الأغراض الشائعة في شعر العرب ، فهو كما يقول عنه ابن رشيق : « الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف

---

(١٧) نقد الشعر ص ١٣٠ لقدامة بن جعفر – ط مكتبة الكليات الأزهرية – ط أولى – (١٣٩٨) هـ

(١٨) من الآية (٦٨) من سورة البقرة .

(١٩) من الآية (٦٩) من سورة البقرة .

(٢٠) من الآية (٧١) من سورة البقرة .

(٢١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ص ١٦٨ ، ١٨٧ لابن القيم – ط مكتبة القرآن .

(٢٢) ولذلك نهى ﷺ عن أن تنْعت المرأةُ المرأةَ لزوجها حتى كأنه يراها ، وما ذلك إلا لأنه يطلع الرجل بوصف المرأة على جميع هيآتها عندما يمثلها خاطره . العمدة ٢٩٤/٢ ، وجوهر الكنز ص٧١

(٢٣) الصناعتين ص ٨٤ ، وما بعدها لأبي هلال العسكري – ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤٠٩) هـ ، والعمدة ٢٩٤/٢ ، ٢٩٥ – ط دار الجيل – ط خامسة – (١٤٠١) هـ ، وأسس النقد الأدبي عند العرب ص ٢٧٧ للأستاذ الدكتور / أحمد بدوي – ط نهضة مصر .

ولا سبيل إلى حصره واستقصائه « وهذا الرأي هو ما يراه البلاغيون والنقاد أيضاً بعد ابن رشيق كضياء الدين بن الأثير ، ونجم الدين بن الأثير ، وغيرهما ، ولقد ذكروا في بعض مؤلفاتهم أمثلة كثيرة لغرض الوصف عند العرب(٢٤).

وقديما برع الشعراء في فنون الوصف المختلفة ، وتميز كل واحد منهم بفن من الوصف أجاد فيه ، وعرف به، «فعرف امرئ القيس بوصف الخيل ، وأبو نواس في الخمر ، وكعب بن زهير في الإبل ، والشماخ في وصف الوحش ، والمتنبي في وصف المعارك والحروب» كما أن الشعراء يتفاضلون في الأوصاف فمنهم من يجيد فيه ، ومنهم من يُقصّر ، ومنهم من يكون وصفه متوسطاً ، وذلك كله بحسب ميل نفوسهم واستعدادهم لمواد ما يصفونه كما يقول نجم الدين بن الأثير (٢٥)

أما عن البيان النبوي فلقد اشتمل على فنون التصوير المختلفة لما لهذه الفنون من أثر في توضيح المعاني ، ولمعرفة الناس بها شعراً ونثراً، ولما لها من أثر في حياتهم حيث كان للوصف كما سبق مكان كبير في كلامهم شعره ونثره . ومن هنا نجد البيان النبوي حافلاً بفن الوصف كوسيلة من وسائل التصوير . فالنبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، وأدبه ربه فأحسن تأديبه؛ ولهذا لم يغفل البيان النبوي في تصويره الدقيق هذه الوسائل .

أما عن العلاقة بين الوصف والتشبيه:

« فالوصف قريب من التشبيه إلا أن الفرق بينهما أن التشبيه مجاز، والوصف راجع إلى حقيقة الشئ وذاته»(٢٦). يقول ابن رشيق : «... وهو [أي الوصف] مناسب للتشبيه ، مشتمل عليه وليس به ؛ لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه . والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشئ ، وأن ذلك مجاز وتمثيل»(٢٧)

ويقول نجم الدين بن الأثير « فالوصف تارة يطلق ويراد به الخصوص ، وتارة يراد به العموم . فأما إذا ورد على وجه العموم فإنه يتناول جميع المعاني النظمية والنثرية حتى القصص والأخبار ، فعلى هذا يكون المدح وصفاً للممدوح ، والهجاء وصفاً للمهجو ، والافتخار يكون وصفاً للمفتخر ، والرثاء يكون وصفاً للميت ، والتشبيه وصف الشئ بأنه يشبه شيئاً آخر ... وإذا ورد على وجه الخصوص فإنه يكون ذكر الشئ وما فيه من الهيئات الخاصة به من غير تعرض للموصوف بخلاف التشبيه فإنه ذكر وصف الشئ بأحواله وهيئآته التي يشارك فيها غيره . فقد صارت المشاركة فرقاً.

وإذا أتى الشاعر بشئ من الوصف أو التشبيه فينبغي له أن يتوخى فيهما مطابقة الموجود ، ويحذر من مجاوزة الحد ، وليتخيل تلخيص المعاني في ذهنه ، وإبرازها في صفات التكميل »

وكلام ابن رشيق وابن الأثير حول الفرق بين الوصف والتشبيه كلام دقيق ، وليس لأحد من البلاغيين مثل هذا الكلام الدقيق في الفرق بين الوصف والتشبيه فيما أعلم.

* * *

المبحث الثالث:

العلاقة بين الوصف والخيال

« الكلام في وصف الطبيعة والجمال والحب على طريقة الأساليب البيانية إنما هو باب من الأحلام إذ لابد فيه من عيني أو نظرة عاشق، وهنا نبي يوحى إليه فلا موضع للخيال في أمره إلا ما كان تمثيلاً يراد به تقوية الشعور الإنساني بحقيقة ما في بعض ما يعرض من باب الإرشاد والموعظة... فعمله أن يهدي الإنسانية لا أن يزين لها، وأن يدلها على ما يجب في العمل لا ما يحسن في صناعة الكلام، وأن يهديها إلى ما تفعله لتسمو به لا إلى ما تتخيله لتلهو به. والخيال هو الشئ الحقيقي عند النفس في ساعة الانفعال والتأثر به فقط، ومعنى هذا أنه لا يكون أبداً حقيقة ثابتة فلا يكون كذباً على الحقيقة، ثم هو ﷺ ليس كغيره من بلغاء الناس بتصل بالطبيعة

---

(٢٤) العمدة ٢/٢٩٥-٣٠١ لابن رشيق – ط دار الجيل – ط خامسة (١٤٠١) هـ (١٩٨١) م ، وكفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب صـ٩٥ -٩٨ لضياء الدين بن الأثير – منشورات جامعة الموصل ، وجوهر الكنز صـ٧١-٨٣ لنجم الدين بن الأثير ، والتصوير الفني في الحديث النبوي صـ٤٩١ للأستاذ الدكتور/ محمد لطفي الصباغ- ط المكتب الإسلامي- ط أولى (١٤٠٩هـ).

(٢٥) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب صـ٩٥ ، وجوهر الكنز صـ٧١ ٧٢،

(٢٦) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان صـ١٨٧ لابن القيم .

(٢٧) العمدة ٢/٢٩٤ ولقد نقل من جاء بعد ابن رشيق كلامه في الفرق بين الوصف والتشبيه كضياء الدين بن الأثير في كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب صـ٩٥ ، ونجم الدين بن الأثير في جوهر الكنز صـ٧١ ، ٧٢

ليستملي منها، بل هو نبي مرسل متصل بمصدرها الأزلي ليملي فيها...»(٢٨).

«فوجود الخيال في الحديث النبوي أمر غير متوقع إلا عندما يكون مصدراً للتشبيه والتمثيل والتصوير...»(٢٩)

فالوصف النبوي الذي يعتمد التصوير الذي يعتمد بدوره الخيال يأتي في أعلى درجات الصدق، وعلى ذروة سنام البلاغة ؛ لأنه متصل بهذه النفس الصافية التي تربعت على قمة السمو الروحي . وهذا يدفعنا للحديث عن الخيال كطريق من طرق التعبير عن المعاني الصادقة ، والتصورات المعقولة طالما نتحدث عن الخيال وصلته بفن الوصف في البيان النبوي.

« إن إطلاق لفظ التخيل أو الخيال في صدد الحديث عن المعاني الصادقة، والتصورات المعقولة لايحط من قيمتها أو يمس حرمتها بنقيصة، فإن علماء البلاغة أنفسهم قد أطلقوه على مايأتي به البليغ في الاستعارة المكنية(٣٠) من الأمور الخاصة بالمشبه به ويثبته للمشبه فقالوا : الأظفار أو إضافتها في قولك : أنشبت المنية أظفارها»(٣١) تخييل أو استعارة تخييلية، وأطلقوه في الفصل والوصل حين تكلموا على الجامع بين الجملتين وقسموه إلى: عقلي، ووهمي، وخيالي ، وأطلقوه في فن البديع على تصوير ما سيظهر في العيان بصورة المشاهد، ولم يبالوا أن يضربوا لجميع تلك المباحث أمثلة من آيات الكتاب العزيز ، وغيره من الأقوال الصادقة.

« ولقد كان من أساليب القرآن في الدعوة أن ضرب الأمثال الرائعة، وصاغ التشابيه الرائقة، والاستعارات الفائقة، والكنايات اللطيفة، ويضاف إلى ذلك ما كان ينطق به الرسول ﷺ من الأقوال الطافحة بضرب الأمثال والاستعارات والكنايات التي لم تخطر على قلب عربي قبله ، فكان مطلع الإسلام مما زاد البلغاء خبرة في تصريف المعاني وترقى بهم في صناعة التخييل »(٣٢)

والوصف الدقيق النابع من البصيرة النافذة ، وحسن الإدراك، والتدفق العاطفي أبلغ من التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو الوسائل المألوفة في التصوير، إنه ينقل لك أمام عينيك المشهد حتى تكاد تحس به بحواسك ، وتلمسه بيديك»(٣٣).

وسيتضح لنا من خلال التطبيق أن الوصف النبوي من أبرز المقومات الحيوية المباشرة في إقامة الصورة»(٣٤)

* * *

المبحث الرابع:

تنوع الوصف في البيان النبوي

استخدم النبي ﷺ « الوصف» لأجل تعليم الناس وإرشادهم إلى ما يقربهم إلى ربهم ، ولبيان حقائق الدين ، كما استخدمه في تحذيرهم وتخويفهم مما يبعدهم عن جنابه ورحمته. والنبي ﷺ داع إلى الله ومبشر، ونذير، ومبلغ عنه كما نطقت بذلك آيات القرآن، وأحاديثه ﷺ. ومن هنا فلقد جاء في البيان النبوي «الوصف» الذي يقلب السمع بصراً، والمعقول محسوساً، والمتخيل مشاهداً، ويحيط بالموصوف من جهاته المختلفة حتى يحكيه ويمثله للعيان.

وهذه الناحية الفنية والبلاغية لا تتخلف في أي موضوع من الموضوعات في البيان النبوي، كما لا يلحقها

---

(٢٨) وحي القلم ٢/٣ ، ٢٣ للرافعي .

(٢٩) الحديث النبوي مصطلحه ، وبلاغته ، وكتبه ص ٢٧ للأستاذ الدكتور / محمد الصباغ – ط المكتب الإسلامي .

(٣٠) ينقسم التصرف في المعاني على ما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى تحقيق وتخييل ، والفارق بينهما أن المعنى الحقيقي ما يشهد له العقل بالاستقامة ، وتتضافر العقلاء في كل أمة على تقريره ، والعمل بموجبه . والتخييلي : هو الذي يرده العقل ويقضي بعدم انطباقه على الواقع إما بديهة أو بعد نظر قليل..، ويفهم من وجه التفرقة بين القسمين أن مجرد الاستعارة عندهم لا يدخل في قسم التخييل ، وقد صرح الجرجاني بهذا في كتاب أسرار البلاغة ناظراً إلى أن المستعير لا يقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة حتى يكون الكلام مما ينبو عنه العقل ، وإنما يعمد إلى إثبات شبه بين أمرين في صفة ، والتشابه بين المعاني لا ينازع العقل في صحتها . أسرار البلاغة ص ٢٣٨- ٢٤٠ – ط دار الكتب العلمية – ط أولى – (١٤٠٩) هـ (١٩٨٨) م ، ويراجع أيضاً الخيال في الشعر العربي ص ١٠ للشيخ / محمد الخضر حسين – ط تونس – ط ثانية – (١٣٩٢) هـ.

(٣١) جزء من بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وتمامه : وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع . والشاهد فيه : الاستعارة بالكناية ، والاستعارة التخييلية ، فهو شبه المنية في نفسه بالسبع في اغتياله للنفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ، ولا رقة لمرحوم ، فأثبت لها الأظفار التي لا يكمل الاغتيال في السبع بدون تحقيقها للمبالغة في التشبيه . فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية ، وإثبات الأظفار لها استعارة تخييلية . ينظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١٦٤/٢ للعباسي – ط عالم الكتب – بيروت – (١٣٧٦) هـ (١٩٤٧) م.

(٣٢) الخيال في الشعر العربي ص ١٢ ، ١٣ ، ٦٧

(٣٣) التصوير الفني في الحديث النبوي ص ٤٩١

(٣٤) القصص في الحديث النبوي ص ١٧٨ للأستاذ الدكتور / محمد حسن الزير – ط دار طيبة – الرياض – ط رابعة – (١٤١٨) هـ (١٩٩٧) م.

الخلل أو الاضطراب في أي ناحية من النواحي. فنجد في البيان النبوي وصف الإيمان في الأمور العقدية والقلبية، ووصف الصلاة والزكاة والذكر في الأمور الحسية، ووصف الفتن والجنة والنار في الأمور الغيبية ، إلى غير ذلك من ألوان الوصف التي سأشير إلى بعضها.

وهذه اللوحات الوصفية مع تنوعها واختلاف موضوعاتها تأتي على درجة واحدة في البلاغة لأنها خرجت من مشكاة النبوة(٣٥)

وسأتناول بمشيئة الله تعالى الوصف في الحديث النبوي على ترتيب الكتب والأبواب في الصحيحين ، مع تقديم تبويب البخاري نظراً لما في تبويبه من الدقة والفقه وحسن الترتيب ، كما شهد بذلك المحققون من العلماء، وسأبين بعون الله ما ينطوي عليه الوصف النبوي من صور فنية، وأسرار بلاغية.

الفصل الثاني : بلاغة الوصف في الحديث النبوي من خلال الصحيحين

وصف النخلة وتمثيلها بالمسلم:

قال رسول الله ﷺ: « **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مَثَلُ المسلم، فحدثوني ما هي؟** « فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت . قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «**هي النخلة**»(٣٦).

في هذا الحديث الشريف يضرب النبي ﷺ مثلاً للمسلم، وفي ضرب الأمثال زيادة في الإفهام، وتصوير للمعاني لترسخ في الذهن. وهنا جاء الوصف معتمداً على التشبيه(٣٧) حيث شبهت النخلة بالمسلم ، وجاء الوصف أولاً للنخلة لقوله ﷺ: « **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها**»

وهذا الوصف من أبرز أوصاف النخلة التي امتازت به من سائر الأشجار ألا وهو عدم سقوط ورقها، وليست هذه كل صفات النخلة. ويبدو لي في ذلك سر بلاغي، فالنبي ﷺ بذكره لهذا الوصف من أوصاف النخلة يريد أن يبين أن النخلة لا ينقطع عطاؤها وخيرها بحال من الأحوال، فورقها فيها سواء أخرج منها الثمر أم لم يخرج. وفي هذا إشارة إلى أن الخير مستمر في المسلم في كل حال لأن نفسه مجبولة على حب الخير والعطاء، لا يفارقه حب الخير، ولا يفارق هو فعل الطاعات، فلا ينفصل أحدهما عن الآخر، كما أن النخلة لا يسقط ورقها بحال من الأحوال، ولهذا عقب النبي ﷺ بعد هذا الوصف للنخلة بتمثيلها بالمسلم، وكأنه يلفت الأنظار بداية إلى أن هذه الخصيصة في وصف النخلة هي أبرز السمات والصفات التي تشابه فيها المسلم، فهذا الترتيب بين الوصف أولاً، والتشبيه. ثانياً- فيما يبدو لي- أمر مقصود إليه في البيان النبوي.(٣٨)

وكما سبق أن النبي ﷺ ذكر هذه الصفة وحدها من صفات النخلة مع أن لها صفات أخرى كثيرة »(٣٩) موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها . فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً ، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب، والليف في الحبال ، ومن خشبها ، وورقها ، وأغصانها يستعمل جذوعاً ، وحطباً ، وعصياً ، ومخاصر ، وحصراً، وأواني ، وغير ذلك»(٤٠). فاكتفي النبي ﷺ بذكر أبرز

---

(٣٥) ومشكاة النبوة قبست من نور القرآن ، وقبست من بلاغته ، ولذلك سأحرص على أن أبين أثر القرآن في كل حديث من الأحاديث موضوع البحث قدر المستطاع سواء أكان هذا الأثر في الناحية البلاغية ، أو في ناحية الموضوع . وفي هذا ربط للحديث النبوي بمنبعه الأصيل .

(٣٦) رواه البخاري من حديث ابن عمر- رضي الله عنه- كتاب العلم- باب قول المحدث حدثنا وأخبرنا- ح (٦١) فتح الباري ١٧٥/١، ورواه مسلم - باب مثل المؤمن مثل النخلة - ١٧/ ١٥٣.

(٣٧) استخدم النبي صلى الله عليه وسلم وسائل مختلفة للوصف من أهمها : اعتماده التشبيه والتصوير ، وقد سبق في مقدمة البحث بيان العلاقة بين الوصف والتصوير . ومما هو معلوم أن من أغراض التشبيه : تقرير صفة المشبه في ذهن السامع ، وهذا الغرض يكثر في تصوير الأمور المعنوية والذهنية في صورة حسية مشاهدة حتى تتمكن الصورة في نفس السامع ، وتستقر في ذهن المخاطب ؛ لأن النفس إلى الحس أميل ، وكما قالوا : من فقد حساً فقد فقد علماً . ينظر الإيضاح ٣٥/٣ للخطيب ، وشروح التلخيص ٣٩٨/٣ ، ٣٩٩، والبيان في ضوء أساليب القرآن ص ٧٩ للأستاذ الدكتور / عبد الفتاح لاشين — ط دار الفكر — القاهرة — ط ثانية — (١٤٢٠) هـ (٢٠٠٠) م .

(٣٨) ولذلك قال العلماء : إن وجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق .

(٣٩) قال العلماء: شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة، ولقد روى البزار بإسناد صحيح عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مثل المؤمن مثل النخلة ما أتاك منها نفعك « وينظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٤/١٧ ، وفتح الباري ١٧٧/١ لابن حجر.

(٤٠) جاء ذكر النخيل في عشرين موضعاً من القرآن بألفاظ « النخل» في عشرة مواضع، و» نخلاً « في موضع واحد، و» النخلة « في موضعين، و» النخيل « في سبعة مواضع» المعجم المفهرس لألفاظ القرآن صـ ٦٩٠ لمحمد فؤاد عبد الباقي. وللنخل أهمية كبيرة ولها منزلة عظيمة في حياة العرب، ولقد نقل ابن ناقيا

الصفات، وترك الباقي ليربط المسلمون بين الصفة المذكورة وبين المسلم ثم يبحثون بعد ذلك عن باقي وجوه الشبه بين المسلم وبين النخلة، وإذا كانت الصفات التي سبق ذكرها موجودة في النخلة في حال خَضِرها وفي حال خَضْرها(٤١) فكذلك المسلم خيره مستمر في حال حياته وبعد مماته، ففي حياته بالطاعات وفعل الخيرات وغير ذلك من وجوه البر، وبعد موته بالصدقات الجارية وما كان سبباً فيه في حال حياته، وما ورَّثه من خير، وبدعوة الناس له، وبدخوله الجنة يوم القيامة، فالمؤمن كله خير ومنافع في حال حياته وبعد مماته.(٤٢)

ومن صفات النخلة جمال النبات، وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع وخير وجمال وكذلك المؤمن خير كله بكثرة طاعاته، ومكارم أخلاقه، ومواظبته على صلاته وصيامه وقراءته وذكره وصدقته، وسائر وجوه البر. ومن صفات النخلة «الثبات والارتفاع عن الأرض، فكذلك الإيمان ثابت في قلب المؤمن، وعمله عال مرتفع في السماء ارتفاع فروع النخلة، وما يكسب من بركة الإيمان وثوابه كما يُنال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والبُسْر(٤٣) والبلح والزهو والتمر والطلع»(٤٤) كما أن من صفات النخل: الاستقامة والاعتدال، والمسلم مستقيم على طريق الطاعة معتدل في أمور دينه ودنياه، وإن كان يوجد في بعض النخل إعوجاج فكذلك بعض المسلمين قد يكون فيهم شئ من الإعوجاج في السلوك، وهذا لا ينفي عنهم صفة الإسلام، والمؤمن لا يعرى من لباس التقوى كما لا تعرى النخلة عن الورق، والتقوى خير زاد وخير لباس»

وهذا الوصف النبوي الذي اعتمد التشبيه قد سلك طريق الإيجاز(٤٥) بذكر أبرز الصفات التي تشابه فيها النخلة المسلم ليلفت الأنظار إلى الصفات الأخرى التي لم تذكر في الحديث، وليشحذ المسلمون أفكارهم ويتأملوا وجوه الشبه بين المسلم والنخلة فيزدادوا معرفة بصفات المسلم من خلال النظر في صفات النخلة، وهذا الأسلوب من أساليب توضيح المعقول بالمحسوس(٤٦) وحث للفكر على النظر فيما بين الأشياء من وجوه الاتفاق ووجوه الاختلاف .

عن بعض العرب في فضل النخل قوله: نعم المال باسقات النخل، الراسخات في الوَحل، المطعمات في المحل يعني: التي تشرب بعروقها من الأرض» ولقد وضع العرب لها ولثمارها ولأجزائها أسماءً وأوصافاً، وهم لا يفعلون ذلك إلا فيما له منزلة ومكانة عندهم، ولقد عقد ابن قتيبه في كتابه– أدب الكاتب– باباً للنخل كما عقد الثعالبي في كتابه– فقه اللغة – ثلاثة فصول: الخامس: في قصر النخل وطولها، والسادس: في ترتيب سائر نعوتها، والسابع: مجمل في ترتيب حمل النخل، ولهم في وصف النخل أشعار كثيرة يراجع بعضها في كتاب «الجمان في تشبيهات القرآن» لابن ناقيا البغدادي ، ولقد ألف الجاحظ كتابه الموسوم بـ «الزرع والنخل والزيتون والأعناب في المفاضلة بين التمر والعنب» وأطال الحجاج والتفضيل من الجانبين، ولقد عقد ابن القيم الفصل الثامن والخمسين في كتابه «مفتاح دار السعادة» للكلام على خلق النخلة وما فيها من العجائب موضحاً وجوه الشبه بينها وبين المسلم وكان مما ذكره:١– طيب ثمرتها وحلاوتها وعموم المنفعة بها كذلك المؤمن طيب الكلام طيب العمل فيه المنفعة لنفسه ولغيره. ٢– دوام لباسها وزينتها فلا = = يسقط عنها صيفاً ولا شتاءً كذلك المؤمن لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها حتى يلاقي ربه تعالى .٣– سهولة تناول ثمرتها وتيسره، أما قصيرها فلا يحتاج المتناول إلا أن يرقاها، وأما باسقها فصعوده سهل بالنسبة إلى صعود الشجر الطوال وغيرها، فتراها كأنها قد هيئت منها المراقي والدرج إلى أعلاها وكذلك المؤمن خيره سهل قريب لمن رام تناوله لا بالغر ولا باللئيم. ٤– أن النخلة أصبر الشجر على الرياح والجهد، وغيرها من الدوح العظام تميلها الريح تارة وتقلعها تارة وتقصف أفنانها، ولا صبر لكثير منها على العطش كصبر النخلة، فكذلك المؤمن صبور على البلاء لا تزعزعه الرياح.٥– أنها كلما طال عمرها ازداد خيرها وجاد ثمرها، وكذلك المؤمن إذا طال عمره ازداد خيره وحسن عمله. ٦– أن قلبها من أطيب القلوب وأحلاه، وهذا أمر خصت به من دون سائر الأشجار، وكذلك قلب المؤمن من أطيب القلوب. ٧– أنها لا يتعطل نفعها بالكلية أبداً، بل إن تعطلت منها منفعة ففيها منافع أُخر حتى لو تعطلت ثمارها سنة لكان للناس في سعفها وخوصها وليفها وكربها منافع، وكذلك المؤمن لا يخلو عن شئ من خصال الخير قط إن أجدب منه جانب من الخير أخصب منه جانب فلا يزال خيره مأمولاً وشره مأموناً». ينظر مفتاح دار السعادة ١/٣٥٥– ٣٥٩ باختصار لابن القيم– ط المكتبة التوفيقية، ولمزيد من التفصيل ينظر أدب الكاتب صـ٨٠ لابن قتيبة، وفقه اللغة وسر العربية صـ٣١٢، ٣١٣ للثعالبي، والجمان في تشبيهات القرآن صـ١٤٤– ١٥٠ لابن ناقيا البغدادي– ط دار الفكر– بيروت– ط أولى (١٤٢٣هـ) (٢٠٠٢م)، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم صـ٦٩٠ لمحمد فؤاد عبد الباقي– ط دار الحديث– ط أولى– (١٤٠٦هـ) (١٩٨٦م)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية صـ ٥١٩ ، ٥٢٠

(٤١) الخَضِر بفتح الخاء وكسر الضاد: الزرع الغَضُّ الأخضر والنخل، والخَضْرُ بفتح الخاء وسكون الضاد: ما قطع وهو أخضر، يقال خَضَر الرجل النخل خَضْراً: قطعه. المعجم الوسيط ١/٢٤٠، ٢٤١مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٤٢) قال القرطبي: وجه التشبيه بينهما من جهة أن أصل دين المسلم ثابت، وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب، وأنه لا يزال مستوراً بدينه، وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حياً وميتاً، فتح الباري ١/١٧٧ .

(٤٣) البُسْرُ: تمر النخل قبل أن يُرْطِبَ جمعه بِسارٌ. المعجم الوسيط ١/٥٦.

(٤٤) الجامع لأحكام القرآن ٥/٢٣٧ للقرطبي – ط دار الكتب العلمية– بيروت– ط خامسة– (١٤١٧هـ) (١٩٩٦م).

(٤٥) وهذه السمة «سمة الإيجاز» من أبرز سمات البيان النبوي . وانظر أمثال الحديث ص ٢٢٣ للدكتور/عبد المجيد محمود – ط مكتبة التراث – ط أولى – (١٩٧٥) م.

(٤٦) وذلك لأن المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم ، فإذا ذكر ما يلائمها من المحسوسات ترك الحس والخيال المنازعة ، وانطبق المعقول على المحسوس ، فحصل الفهم التام . ينظر شروح التلخيص ٣/٣٩٨ ، ٣٩٩ ، وحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٥/٢٦٥ .

وهذا الوصف النبوي إنما هو قبس من آثار المثل القرآني الدقيق في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥] «فأكثرالمفسرين على أن الشجرة الطيبة هي النخلة(٤٧) ولقد قرأ النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ... ﴾ وقال: «**هي النخلة**»(٤٨) ولقد وصف هذه الشجرة بأربعة أوصاف: الأول: قوله « **طَيِّبَةً** » أي كريمة المنبت . الثاني: رسوخ أصلها وذلك يدل على تمكنها، وأن الرياح لا تقصفها فهي بطيئة الفناء، وما كان كذلك حصل الفرح بوجدانه . والثالث: علو فرعها وذلك يدل على تمكن الشجرة ورسوخ عروقها، وعلى بعدها من عفونات الأرض، وعلى صفائها من الشوائب . الرابع: ديمومة وجود ثمرتها وحضورها في كل الأوقات»(٤٩)

وهذه الأوصاف تنطبق على المؤمن تمام الانطباق، فالإيمان راسخ وثابت في قلب المؤمن لا تزعزعه البلايا والمحن، وهو إيمان مثمر بالعمل الصالح الذي يدل على صلاح المؤمن المتصل بالملأ الأعلى، وهو إيمان يعلو على شهوات الدنيا وملاذها، ويحلق في آفاق من السمو الروحي. وهذه الأوصاف في الشجرة الطيبة تنطبق على أوصاف المؤمن التي سبق ذكرها تمام الانطباق، «فالمقصود بالمثل المؤمن، والنخلة مشبهة به، وهو مشبه بها، وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك .

فليتأمل المؤمن في هذا المثل القرآني، وهذا المثل النبوي، وليتصور هذه المعاني التي تحتاج إلى إعمال العقل، وينطبق فيها المعقول على المحسوس تمام الانطباق(٥٠) ﴿ ... وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (إبراهيم : ٢٥).

وصف حال أول من يدخلون الجنة ، والذين يلونهم ، ونعيمهم :

قال رسول الله ﷺ « **أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان: كل واحدة منهما يُرى مخُ ساقها من وراء لحمها من الحسن. يسبحون الله بكرة وعشياً، لا يسقمون ، ولا يمتخطون ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة** – قال أبو اليمان: يعني العود – **ورشحهم المسك**»(٥١)

إننا هنا أمام لوحات وصفية رائعة لمشاهد من عالم الغيب لمنازل المؤمنين وما أعد الله لهم من النعيم في الجنة. ولقد جاء هذا الوصف النبوي الدقيق معتمداً على التشبيه في بعض أجزائه، ومعتمداً على العبارة الوصفية التي لا تعتمد على الصورة البيانية المعهودة من التشبية والاستعارة والكناية في أجزاء أخرى. وبدأ هذا الوصف النبوي بذكر مراحل النعيم التي يمر بها أول زمرة تدخل الجنة من بداية دخولهم إلى حين استقرارهم. بدأ هذا الوصف بتشبيه صورة أول زمرة تدخل الجنة بصورة القمر ليلة البدر، وتشبيه الذين يلونهم بصورة أشد كوكب إضاءة. وهنا سر بلاغي في الفرق بين التشبيهين: فالتشبيه الأول جاء بصورة « **القمر ليلة البدر**» والوجه فيه الهيئة والحسن والضوء. والتشبيه الثاني بـ « **أشد كوكب دري**» والوجه فيه الإضاءة فقط(٥٢).

وهنا نقف أمام هذا النور الذي يشع من أجسادهم وصورهم، هذا النور الذي يخطف الأبصار ويبهر

---

(٤٧) وهو قول ابن مسعود ، وابن عباس ، وأنس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وابن زيد . ينظر الكشاف ٥١٩/٢ للزمخشري ، والبحر المحيط ٤٣١/٦ لأبي حيان الأندلسي ، وتفسير ابن كثير٤٨٥/٢ ، وتفسير أبي السعود العمادي ١٨٨/٣ ، ١٨٩ .

(٤٨) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أنس . فتح الباري ١٧٨/١

(٤٩) الأمثال في القرآن ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ لابن القيم – ط دار المعرفة (١٩٨١) م ، و البحر المحيط ٤٣٢/٦ .

(٥٠) ذكر ناصح الدين ابن الحنبلي هذا الحديث موضوع البحث في أكثر من موضع من كتابه أقيسة النبي المصطفي صلى الله عليه وسلم ص ٩٤ ، ١١١ ، ١٤٦ ط المكتبة العصرية – بيروت – (١٤١٥) هـ (١٩٩٤) م .

(٥١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة –كتاب بدء الخلق – باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – ح (٣١٣٨) – ٣٦٧/٦ ، وأخرجه مسلم – كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها – ١٧٣/٩

(٥٢) وقوله: « كأشد كوكب » أفرد المضاف ليفيد الاستغراق في هذا النوع من الكوكب. يعني إذا تقصيت كوكباً كوكباً رأيتهم كأشده إضاءة. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٥٣/١٠، ٢٥٤ للتبريزي.

المتأملين، فصورة القمر ليلة البدر وما هو عليه من الضوء معروفة بما فيها من جمال شكله وحسن هيئته. إنهم حين يدخلون الجنة يكونون في قمة الجمال والكمال والبهاء والحسن فلا يصيبهم أي مظهر من مظاهر النقص، فلقد مضت الدنيا بنقصها وبلائها، وهم اليوم في دار الكمال لا النقصان. أما الذين يلونهم فصورتهم معروفة حين ننظر إلى الكوكب الدري يلمع في وسط السماء في الليل ، ولكن التشبيه هنا جاء في الإضاءة وحدها ، وهذا لا يعني نقصان حالهم ولكن يعني اختلافهم في درجات النعيم مع استوائهم في أصل الكمال ، والبعد عن كل مظاهر النقص.(٥٣)

لقد وصفهم في الزمرة الأولى والذين يلونهم بالإضاءة عند دخولهم الجنة، وهذا النور والضوء إنما هو نور وضوء الأعمال الصالحة، فطالما صلوا بالليل والناس نيام(٥٤) وطالما تحملوا بلاء الدنيا وعناءها. إن طاعتهم لله قد أثمرت ذلك النور الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حيث بين ذلك القرآن بإضافة النور إليهم في أكثر من موضع قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم(٥٥) بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ(٥٦) قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾(٥٧) وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾(٥٨)

ولم يقف الوصف النبوي الدقيق لهذا المشهد الرائع المهيب عند الصورة الظاهرة وإنما انتقل إلى الصورة الباطنة، فبين أن «**قلوبهم على قلب رجل واحد**»(٥٩) فلا اختلاف بينهم ولا تباغض. إننا هنا أمام صورة مكتملة المعالم في الظاهر والباطن، في الظاهر بالضياء والحسن والبهاء، والباطن بالطهارة والنقاء والصفاء، وهذا يظهر بلاغة الوصف في البيان النبوي، ويؤكد ما سبق ذكره من أنه **وصف كاشف جامع لكل معالم الصورة !**

وبعد الحديث عن كمالهم في ذاتهم انتقل إلى الحديث عن النعيم الذي أعد لهم، فذكر الزوجين من الحور العين، وبين صفاء ورقة بشرتيهما فقال:« **لكل امرئ منهم زوجتان**(٦٠) **كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن**» إن هاهنا صفاءً

---

(٥٣) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٢ – ٤) وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة». ينظر هذه الأحاديث وغيرها في كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح – الباب السابع عشر – في درجات الجنة – ص ١٠٩– ١١٨ لابن القيم – ط دار ابن رجب – ط ثانية (١٤٢٦) هـ (٢٠٠٥) م.

(٥٤) وفي الحديث الصحيح : «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» رواه أبو داود والترمذي من حديث بريدة بن الخصيب مرفوعاً. مشكاة المصابيح ٢٨٥/٢، ، وصحيح سنن أبي داود للألباني ١٦٧/١.

(٥٥) لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فجعل النور في الجهتين شعاراً لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا، وبصحائفهم البيض أفلحوا فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور جنيباً لهم ومتقدماً. الكشاف ٤٧٣/٤ للزمخشري .

(٥٦) لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة. وانظرونا وانظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به . الكشاف ٤٧٣/٤

(٥٧) الآيتان (١٢، ١٣) من سورة الحديد.

(٥٨) الآية (٨) من سورة التحريم.

(٥٩) قوله: «على قلب رجل واحد» من التشبيه المحذوف الأداة أي كقلب رجل واحد وقد فسره بقوله: «لا تحاسد بينهم ولا اختلاف» أي أن قلوبهم طهرت من مذموم الأخلاق. فتح الباري ٣٧٤/٦.

(٦٠) يقول الطيبي: الظاهر أن التثنية للتكرار لا للتحديد كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٤) لأنه قد جاء أن للواحد من أهل الجنة العدد الكثير من الحور العين. ويقول ابن القيم: ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لما في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للعبد فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً» ينظر شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٥٤/١٠، وحادي الأرواح ص ٣١٠، ٣١١.

وبياضاً في عظامهن ولحمهن ظاهراً وباطناً ليناسب حال هؤلاء المؤمنين في الصفاء والنقاء، فيزداد النور والبهاء، ويتم الحسن والضياء. فما أروع هذه الصورة النبوية حين نتخيلها أمام أعيننا وقد امتزج النوران بين هؤلاء الداخلين إلى الجنة والحور العين اللائي وصفهن القرآن بأنهن: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾(٦١) إن هذا النعيم المقيم والعطاء الجزيل ليلهمهم التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس(٦٢) وليس المقصود بالتسبيح بكرة وعشياً الحقيقة لفناء الدنيا، وإنماالمقصود هو الديمومة(٦٣)

وبعد هذا الوصف الدقيق لصورتهم وما أعد لهم من الحور العين انتقل البيان النبوي إلى وصف حالهم «**فهم لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يصقون،آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب**». ما أروع هذا الوصف الدقيق الجامع، فلقد تناول في هذا الوصف حالهم في الداخل، وما يحتاجون إليه في الخارج من الأواني والأمشاط. وهنا سر دقيق فهم لا يسقمون ولا يمتخطون ولايبصقون، وهذا ما يناسب ما هم عليه من الضياء والصفاء والحسن ، كما أن آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة وفيهما من الصفاء واللمعان والبريق ما هو معلوم... فهنا ضياء ونور وصفاء في كل شئ، في ظاهرهم وباطنهم، وفي كل ما يحيط بهم(٦٤) ويبدو لي هنا لوحة وصفية يشع النور من كل أجزائها في تناسق والتئام وتلاحم، هاهم المؤمنون والنور يشع منهم، وها هي الحور العين في صفائها ونقائها، وها هي الآنية والأمشاط في لمعانها وبريقها، هل بقي شيء؟ نعم بقيت المجامر(٦٥) وهي «الألوّة»(٦٦) ولكن جعلت مجامرهم نفس العود بأن يشتعل بغير نار(٦٧) بل بقوله:«كن» لقد أحيط هذا الضياء بهذه الرائحة الطيبة مع رشحهم المسك، فلقد جاءت الرائحة الطيبة من رشحهم ومن حولهم لتكتمل معالم الصورة.

وبهذا يكون البيان النبوي قد وصف لنا حال هؤلاء الداخلين إلى الجنة وصفاً كاشفاً جامعاً. وهو وصف لمشاهد من عالم الغيب عرضها علينا في إيجاز وفي تناسق وفي تلاحم عجيب ، جمع فيه بين أجزاء الصورة التي شاع النور وانتشر في جميع أجزائها وهذه الصور الرائعة هناك روابط وقواسم مشتركة بينها وهي الضياء، والبهاء، والحسن، والصفاء ، واللمعان !

لقد جاء نورهم من أعمالهم الصالحة، وجاء حسنهم وبهاؤهم من طهارتهم الحسية والمعنوية في الدنيا، فلينظر كل منا ومن خلال هذا الحديث الرائع إلى ما قدم من نور لنفسه يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٦٨) في تصوري مهما أوتي المرء من بلاغة وبراعة لا يستطيع أن يصف حال أهل الجنة بأبلغ مما وصفه به البيان النبوي ؛ لأن النبي ﷺ يصف وصف من رأى وسمع مع ما أوتي من جوامع الكلم، والاتصال بالملأ الأعلى في كل حين.

---

(٦١) قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان. شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان، ويدل عليه ما قاله عبد الله: إن المرأة من نساء الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله تعالى يقول: «كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ» (الرحمن: ٥٨) ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر» الكشاف ٤٥١/٤، و حادي الأرواح ص٢٩٩

(٦٢) وهذا ما فسره به جابر رضي الله عنه في حديثه عند مسلم. ووجه الشبه أن تنفس الإنسان لا كلفه فيه عليه ولابد منه، فجعل تنفسهم تسبيحاً، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه، وامتلأت بحبه، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره» فتح الباري ٣٧٥/٦

(٦٣) كما تقول العرب: أنا عند فلان صباحاً ومساءً لا يقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة. وقيل: يسبحون بكرة وعشياً أي قدرهما. شرح الطيبي على المشكاة ٢٥٤/١٠، وفتح الباري ٣٧٥/٦.

(٦٤) فبناء الجنة كما جاء في الحديث: «لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها (الطين الذي يجعل بين ساقي البناء) المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران» رواه أحمد والترمذي والدارمي من حديث أبي هريرة وهو حديث ضعيف وفي الحديث:»ما في الجنة شجرة إلا وساقها ذهب» رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وهو حديث ضعيف أيضاً. مشكاة المصابيح ٢٦٣/١٠ ، ٢٦٤.

(٦٥) يقال: ثوب مجمر ومجمر: أي مبخر بالطيب، ولعله مأخوذ من جمر النار لأن الغالب في البخور أن يجعل الجمر في المجمر ، ومنه نعيم المجمر الذي كان يلي إجمار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الجبَّان: يقال للذي يلي ذلك جامر...» ينظر المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث مادة «جمر» ٣٤٦/١ للإمام محمد بن عيسى المديني الأصفهاني — ط دار المدني — جدة — ط أولى — (١٤٠٦)هـ (١٩٨٦) م.

(٦٦) بفتح الهمزة وضم اللام: أي العود الهندي الذي يبخر به. صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٢/٩.

(٦٧) قال الإسماعيلي: ينظر هل في الجنة نار؟ ويجاب باحتمال أن يشتعل بغير نار بل بقوله «كن» وإنما سميت مجمرة باعتبار ما كان في الأصل، ويحتمل أن يشتعل بنار لا ضرر فيها ولا إحراق، أو يفوح بغير اشتعال... فتح الباري ٣٧٣/٦.

(٦٨) الآية (١٢) من سورة الحديد.

وصف الخوارج:

عن أبي سعيد قال: بعث علي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذهيبة، فقسمها بين أربعة : الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي ، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب. فغضبت قريش والأنصار قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا. قال: إنما أتألفهم. فأقبل رجل غائر العينين،مشرف الوجنتين ، كثّ اللحية، محلوق فقال: اتق الله يا محمد فقال: «**من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني؟**» فسأله رجل قتله – أحسبه خالد بن الوليد – فمنعه فلما ولي قال: «**إن من ضِئْضِئ هذا – أو في عقب هذا – قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»(٦٩) وفي رواية: « **إنه يخرج من ضئضئ**(٧٠) **هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»، وأظنه قال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**»(٧١)

وقال رسول الله ﷺ: «**يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة**»(٧٢).

في هذا الحديث الشريف نحن أمام وصف دقيق يتخطى حدود الزمان والمكان ليكشف لنا عن أوصاف بعض من ينتسبون إلى المسلمين ولكنهم عبء عليهم، وحرب لهم، وأمان وسلم لعدوهم..، هذه الفئة التي نراها ونعايشها اليوم كما كانت بالأمس وفي الماضي، وكما ستكون في المستقبل وضع لنا البيان النبوي أوصافاً لها تكشف عن حقيقتها ، وتوضح فكرها ومدى فهمها للدين، وعوار هذا الفهم. والوصف النبوي هنا ينطبق عليه الخصيصة التي تحدثنا عنها من قبل، وهي أنه وصف يتجاوز حدود الزمان والمكان ليربط الماضي بالحاضر والمستقبل، وذلك لأنه خرج ممن لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(٧٣).

ولقد ذكر النبي ﷺ أوصافهم في أكثر من حديث، وسأجمع هذه الأوصاف كما جاءت في الصحيحين وأتناولها بالتحليل البلاغي والأدبي . إنهم قوم يقرؤون القرآن وفي رواية «يتلون كتاب الله ليناً رطباً لا يجاوز حناجرهم». «لا يجاوز إيمانهم حناجرهم». «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم(٧٤) وليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء». «يقولون من قول خير البرية». «حدثاء أو أحداث أو حداث الأسنان. سفهاء الأحلام. يقتلون أهل الاسلام، ويدعون أهل الأوثان». هذه عبادتهم كما جاء في وصفهم: يقرءون القرآن ليناً رطباً لا يجاوز حناجرهم. ما أدق هذا الوصف ! فهم لا نصيب لهم من القرآن إلا ترديد الألسنة ؛ لأن القرآن لم ينفذ إلى قلوبهم، إنه عند الحناجر(٧٥) لا يتجاوزها، فلم تشرب قلوبهم حبة وفهمه

---

(٦٩) رواه البخاري من حديث أبي سعيد – كتاب الأنبياء – باب قول الله عز وجل: (وإلى عاد أخاهم هود) ح (٣٢٣٢) – ٤٣٣/٦، وأخرجه مسلم – باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه – ١٦١/٧ – ١٧١.

(٧٠) الضئضئ: بضادين معجمتين مكسورتين بينهما تحتانية ساكنة وفي آخره تحتانية مهموزة هو أصل الشئ، والمراد به النسل والعقب. يقال ضئضئ صدق ، وضؤضؤ صدق يريد أنه يخرج من نسله وعقبه ومن رأيه ومذهبه. قالوا: ولأصل الشئ أسماء كثيرة : منها : الضئضئ ، والنجار بكسر النون ، والنحاس، والسنح بكسر السين وإسكان النون، والعنصر، والأرومة. صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٢/٧، وشرح الطيبي ١٢١/١١، وفتح الباري ٦٦٨/٧، وعون المعبود ١٣/ ٧٧ لمحمد شمس الحق العظيم آبادي – ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(٧١) رواه البخاري من حديث أبي سعيد – كتاب المغازي – ح (٤١٨٣) – فتح الباري ٧٣٠/٨.

(٧٢) رواه البخاري من حديث سويد بن غفلة – كتاب المغازي – كتاب فضائل القرآن – باب إثم من راءى بقراءته القرآن أو تأكل به أو فجر به – ح (٤٨٦٩) – فتح الباري ٧٣٠/٨، وفي كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم – باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم – ح(٦٦٨٦) – فتح الباري ٢٩٥/١٢.

(٧٣) الآية (٤) من سورة النجم.

(٧٤) جاء في رواية لمسلم من حديث علي: «يخرج قوم من أمتي يقرؤن القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ...» الحديث – باب التحريض على قتل الخوارج ١٧١/٧.

(٧٥) الحناجر بالحاء المهملة والنون ثم الجيم جمع حنجرة بوزن قسورة وهي الحلقوم والبلعوم، وكله يطلق على مجرى النفس ، وهو طرف المرئ مما يلي الفم. وقال في النهاية: الحنجرة رأس الغلصمة حيث تراه ناتئاً من خارج الحلق والجمع حناجر. النهاية ١/ ٤٤٩ لمجد الدين بن الأثير، وشرح الطيبي ١٢٣/٧، وفتح الباري ٣٠١/١٢.

كما يجب أن يكون، إنه لين(٧٦) رطب بالنسبة لهم، سهل عليهم في الحفظ والتلاوة، أما في الفهم والعمل فهم لا رصيد لهم(٧٧) فهم يرددونه ويلوون ألسنتهم به تحريفاً لمعانيه ، وميلاً لأهوائهم، فصورتهم وهم يقرءون القرآن صورة خادعة لمن لم يعرف حقيقة فكرهم، فمن رآهم وهم يقرءون القرآن بسهولة ولين ظنهم من العالمين الفاقهين حيث لان القرآن لهم في التلاوة.

إن صورتهم الخادعة في العبادة لا تقف عند قراءة القرآن، بل إن من أوصافهم «**أنكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وقراءتكم مع قراءتهم، وصيامكم مع صيامهم**»، فهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويكثرون من التلاوة للقرآن، بل ويقولون من خير قول البرية ! ولكن ليس لهم روح العبادة وإنما لهم مظاهرها وظاهرها، فهم لا يعرفون من الدين إلا القشور وكما جاء في وصفهم « **لا يجاوز إيمانهم حناجرهم**». فكما أن القرآن لم يستقر في قلوبهم فهماً وعملاً كذلك الإيمان إيمان باللسان لا بالجنان، إيمان بالأقوال لا بالأفعال، وما أبعد هذا الصنف من الناس عن حقيقة الدين. فالإيمان لم ينفذ إلى قلوبهم وإنما وقف عند حلاقيمهم، وما وقف عند الحلاقيم لا يصل إلى القلب! ولذلك فهم «**يقولون من خير قول البرية**»(٧٨) كما وصفهم البيان النبوي، فكلامهم في الظاهر حسن معسول، ولكن في الباطن فهمهم للدين مدخول، إن عبادتهم كلها ظواهر لا رصيد لها من إيمان أو إخلاص، وقراءتهم كلها حركات للألسنة والحناجر لا وزن لها من فهم أو عمل سديد.

ولكن هل يقف وصفهم عند هذا الحد؟ لا، فهم «أحداث(٧٩) الأسنان» صغار السن لم يسبروا غور العلم، ولم يعيشوا في رحابه وقتاً كافياً فهماً وعملاً، ولم يكتسبوا الخبرة الكافية لصغر سنهم وضيق عطنهم وأفن عقولهم. وعن هذه العقول فحدث ولا حرج، ولن تجد لوصف عقولهم أبلغ من قوله ﷺ: «**سفهاء الأحلام**»(٨٠).

فعقولهم ضعيفة رديئة صغيرة(٨١) لا قدرة لها على الفهم والتحليل والاستنباط ، ولا عناية لها بمعالي الأمور وإنما عنايتهم بسفاسف الأمور، يهتمون بالقشور ويتركون الجوهر، يهتمون بالظاهر ويغفلون عن الباطن، ولا صبر لهم على فهم الدين والفقه لمقاصده، ولا ثبات عندهم أمام الشبهات، ولا رسوخ لأقدامهم في الحق، فهم متزعزعون عند الفتن، متخبطون في النوازل، يضعون الأدلة في غير مواضعها، انطلقوا إلى آيات نزلت في الكافرين فجعلوها على المؤمنين.ولهذا فهم «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»(٨٢) وما أروع هذا الوصف الدقيق لحالهم مع الدين فهم كما يكفرون الناس على أهون الأسباب، ويأثمونهم على أصغر الأمور، هم كذلك يخرجون من الدين بنفس السرعة التي دخلوه بها، فلا ثبات لهم على الحق ولا نصيب لهم من الصبر(٨٣).

---

(٧٦) في أكثر النسخ «ليناً» بالنون أي سهلاً، وفي كثير من النسخ «لياً» بحذف النون. وأشار القاضي إلى أنه أكثر رواية شيوخهم ومعناه: سهلاً لكثرة حفظهم قال: وقيل: لياً أي يلوون ألسنتهم به أي يحرفون معانيه وتأويله، قال: ويكون من اللي في الشهادة وهو الميل قاله ابن قتيبة. صحيح مسلم بشرح النووي. ٧/١٦٣ ، ١٦٤

(٧٧) وقال الطيبي: لا تتجاوز قراءتهم عن ألسنتهم إلى قلوبهم فلا يؤثر فيها، أو لا يتصاعد من مخرج الحرف وحيز الصوت إلى محل القبول والإنابة. شرح الطيبي على المشكاة ١١/١٢٠.

(٧٨) هو من المقلوب والمراد: «من قول خير البرية « أي من قول الله وهو القرآن فهو خير قول البرية، ويحتمل أن يكون على ظاهره والمراد: القول الحسن في الظاهر وباطنه خلاف ذلك كقولهم: «لا حكم إلا لله» في جواب علي ويحتمل أن يكون المراد بـ «خير البرية» النبي صلى الله عليه وسلم. ويرى الطيبي أن الوجه الأول أولى لأن «يقولون» بمعنى يحدثون ويأخذون من خير ما يتكلم به البرية. وينصره ما روى في شرح السنة أن ابن عمر رضي الله عنه كان يرى الخوارج شرار الخلق ويقول: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين وما ورد في حديث أبي سعيد: «يدعون إلى كتاب الله وليسوا منا في شئ» شرح الطيبي على ٧/١٢٢.

(٧٩) الأحداث: جمع حدث بفتحتين. والحدث: الصغير السن. هكذا في أكثر الروايات، ووقع للسرخسي والمستملي حداث بضم أوله وتشديد الدال ومعناه شباب جمع حديث السن أو جمع حدث، وهو كناية عن الشباب وأول العمر.

(٨٠) الأحلام جمع حلم بكسر أوله، والمراد به العقل. والمعنى: أن عقولهم رديئة صغيرة. قال النووي: يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة عن كمال السن وكثرة التجارب وقوة العقل. وقال ابن حجر: لم يظهر لي وجه الأخذ منه فإن هذا معلوم بالعادة لا من خصوص كون هؤلاء كانوا بهذه الصفة. فتح الباري ١٢/٣٠١.

(٨١) السفة في الأصل: الخفة والطيش، وسفه فلان رأيه إذا كان مضطرباً لا استقامة له. شرح الطيبي ٧/٢٢.

(٨٢) الرمية بفتح الراء وكسر الميم وتشديد التحتانية. قال في النهاية : الرمية الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك . وقيل هي كل دابة مرمية . النهاية ٢/٢٦٨ لمجد الدين المبارك بن الأثير – ط دار إحياء التراث العربي ، وعون المعبود ١٣/٧٩.

(٨٣) يقول الشريف الرضي: وفي هذا القول مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام شبه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة من غير أن يتعلقوا منه بعقدته أو يعيقوا (أي يلتصقوا) بطينته بالسهم الذي أصاب الرمية ثم خرج مسرعاً من جسمها ولم يعلق بشئ من فرثها ودمها. وذلك من صفات السهم الصائب ؛ لأنه لا يكون شديد السرعة إلا بعد أن يكون قوي النزعة. قال الطيبي: يريد أن دخولهم في الدين ثم خروجهم منه ولم يستمكنوا منه بشئ كالسهم الذي دخل في الرمية

ويبدو لي في هذا التصوير النبوي الدقيق أكثر من سر بلاغي: السر الأول: هو الصلابة والشدة عند هؤلاء في التعامل مع الناس وفي أمور الدين، وخاصة في سفاسف الأمور . ويبدو ذلك واضحاً من خلال قوله « **كما يمرق السهم من الرمية** » وذلك من صفات السهم الصائب الصلب ؛ لأنه لا يكون شديد السرعة إلا بعد أن يكون قوي النزعة ! فالصلابة في السهم والقوة والسرعة في اندفاعه تدفعه إلى الرجوع والخروج من الصيد بعد إصابته.

وهذا وصف دقيق لحالهم، فهم لا رفق عندهم في التعامل مع الناس، ويغلب عليهم جفاف الروح، وتقطيب الجبين، وتعقيد الأمور، وتضخيم الصغير، وتصغير الكبير، وهذا واقع يعرفه من عامل هؤلاء وعرف حقيقة طباعهم.

كما أن صلابة السهم موجودة في آرائهم، فهم لا يتنازلون عن آرائهم الباطلة وفهمهم المدخول، ولا يزعنون للحق(٨٤).

فصلابة الرأي من سماتهم مع فساد ما هم عليه وهذه حقيقة تاريخية معروفة عن الخوارج، وحقيقة واقعية معروفة عن أشباههم اليوم! فهم يؤثرون أن يكونوا رؤوساً في الباطل على أن يكونوا ذيولاً في الحق! وهناك سر آخر وهو السرعة والاندفاع عند هؤلاء، وذلك أيضاً من خلال قوله ﷺ: « **يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** »(٨٥)

والسرعة عندهم في الحكم على الناس بالفسق والكفر ، والاندفاع في التعامل مع الناس ، وعدم الصبر على تحصيل العلم، والسرعة في اتهام الناس زوراً وبهتاناً لأنهم لا يؤيدونهم فيما يذهبون إليه(٨٦).

إنهم يخرجون من الدين بنفس السرعة التي دخلوا بها فيه، وتشاهد كثيرا من ذيول هؤلاء في عصرنا ، لا يلبث أحدهم في طريق الالتزام قليلاً حتى يحيد عن الحق، ويرجع إلى سابق عهده في الفسق ؛ لأنه لم يتعلق من الدين إلا بالقشور، بقدر ما يدخل السهم في الصيد ويخرج منه بسرعة !

وليس هناك تصوير دقيق يصور حالهم مع الإيجاز أبلغ من هذا التصوير النبوي، فهذا الحديث فضلاً عن أنه معجزة من معجزات النبي ﷺ يشتمل على أسرار بلاغية ، ووصف دقيق لحقيقة هؤلاء في كل زمان ومكان.

إن أفن عقولهم، وسوء فهمهم للدين، وصلابتهم في التمسك بالباطل، واندفاعهم في رفض الحق يدفعهم إلى أن «**يقتلوا أهل الاسلام، ويدعوا أهل الأوثان**» كما وصفهم البيان النبوي(٨٧) وهذا وصف دقيق لهؤلاء المارقين في كل زمان ومكان، فهم يفعلون ذلك بالمسلمين استناداً إلى تأويل فاسد لآيات القرآن، وفهم مدخول لحقيقة الدين، وهذه حقيقتهم في عصرنا كما كانت حقيقتهم في الماضي، وكما ستكون في المستقبل(٨٨)

إن الوصف النبوي هنا يتميز بخصيصته الظاهرة وهي أنه **وصف جامع كاشف مركز على أبرز صفات هؤلاء الخوارج**(٨٩) وهو وصف متخطي لحدود الزمان والمكان.

ثم نفذ فيها ؛ وتخرج منها ولم يتعلق منها بشي. ينظر المجازات النبوية ص ٣٧ للشريف الرضي، وشرح الطيبي على المشكاة ١٢٣/٧.

(٨٤) ومعلوم ما عاناه وكابده سيدنا علي رضي الله عنه من الخوارج، فلم يرجع إلى الحق إلا أقلهم ، ورفض أكثرهم الرجوع إلى الحق بعد أن سفكوا الدماء الذكية الطاهرة من دماء أبناء الصحابة وغيرهم.

(٨٥) يقول الطيبي: ضرب مثلهم في دخولهم في الدين وخروجهم منه بالسهم الذي لا يكاد يلاقيه شئ من الدم لسرعة نفوذه تنبيهاً على أنهم لا يتمسكون من الدين بشئ ولا يلوون عليه . شرح الطيبي على المشكاة ١٢٩/٧.

(٨٦) وكم رأينا من أمثال هؤلاء الذين يسارعون إلى تكفير الناس لمجرد أنهم يخالفونهم في الرأي، ويندفعون في التمسك بآرائهم الفاسدة، ويبادرون إلى اتهام الناس في نياتهم، نسأل الله لهم الهداية والرشاد .

(٨٧) وقد حدث ذلك في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين خرجوا عليه، وكان ممن قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذوه فأضجعوه وذبحوه على ضفة النهر، وأقبلوا على امرأته وهي حبلى متم فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طئ، وقتلوا أم سنان الصيداوية، وبعث إليهم علي رضي الله عنه الحارث بن مرة العبدي يسألهم فيما بلغه عنهم فقتلوه أيضاً، ورفضوا تسليم القتلة فقاتلهم علي رضي الله عنه في معركة النهروان المشهورة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة حتى قضى على أكثرهم. وينظر في أخبارهم تاريخ الطبري ١١٣/٣-١٢٥- ط دار الكتب العلمية ، والملل والنحل ١٠٦/١ ، وما بعدها للشهرستاني – ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤١٣) هـ (١٩٩٢) م .

(٨٨) وكم شاهدنا من أمثال هؤلاء في بلادنا الذين يقتلون الأبرياء بحجة الإصلاح والعودة إلى المجتمع الإسلامي، ويستبيحون أموالهم ؛ لأنهم يخالفونهم في الدين أو الرأي، وهذا فعل المكفرين وغيرهم كما هو معلوم. ولقد عبر عن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:» إن من ضئضئ هذا « أي من نسله وعقبه ، ومن رأيه ومذهبه ، ومن على شاكلته ممن عرفهم التاريخ ، وعرفهم عصرنا الذي نعيش فيه.

(٨٩) جاءت أحاديث أخرى في وصفهم منها: ما جاء في سنن أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل،

لقد قال رسول الله ﷺ: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**» وفي رواية «**لأقتلنهم قتل ثمود**»(٩٠)وفي رواية:«**فأينما لقيتموهم فأقتلوهم،فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة** »(٩١) وفي ذلك معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، فهم مع نهية عن قتل أصلهم (وهو الرجل الذي قال لرسول الله اتق الله يا محمد) أراد إدراك خروجهم واعتراضهم المسلمين بالسيف، ولم يكن ظهر ذلك في زمانه، وأول ما ظهر في زمان علي رضي الله عنه كما هو مشهور . فهؤلاء بسفكهم للدماء، وفهمهم المدخول للدين، وعدم نفاذهم إلى حقيقة الاسلام يمثلون خطراً عظيماً على المسلمين، لأنهم يزعمون أنهم من المسلمين بينما يقتلون أهل الاسلام، ويدعون أهل الأوثان(٩٢)

فهم رأس الفتنة، ومنبع البلوى، ومصيبة المسلمين فيهم أكبر من مصيبتهم من أعدائهم. فما أروع وأدق هذا الوصف النبوي الموجز المعبر أدق تعبير عن حقيقة هؤلاء الخارجين في كل زمان ومكان(٩٣).

وصف قلب المؤمن بالكرم:

قال رسول الله ﷺ : «**ويقولون : الكرم، إنما الكرم قلب المؤمن**»(٩٤) وفي رواية مسلم: « **... ولا يقولن أحدكم للعنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم**» وفي رواية له: «**لا يقولن أحدكم الكرم، فإنما الكرم قلب المؤمن**»(٩٥).

نحن هنا أمام وصف من نوع آخر، وشاهدنا في هذا الحديث قوله ﷺ: «**إنما الكرم قلب المؤمن**» وقوله: «**فإن الكرم الرجل المسلم**» والوصف النبوي هنا جاء لتصحيح لفظ طالما وضع لغير معناه الحقيقي في حياة العرب في ذلك الوقت، وروعي في تصحيحه الجانب الذهني ، والناحية الفكرية عند الناس.

فلقد كانت العرب تطلق لفظة « **الكرم** » على شجر العنب، وعلى العنب، وعلى الخمر المتخذة من العنب(٩٦) فكره الشرع هذا الاسم لأنه يربط بين العنب والخمر المتخذة منه في أذهانهم، ولأن فيه خطأً في الفهم حيث وصفت الخمر بغير صفتها، وسميت بغير اسمها، وهذا مما يؤدي إلى التباس الأمر على بعض الناس، ويهيج في نفوسهم الاتجاه إلى مقاربتها، ولذلك جاءهم بالاسم الحقيقي الذي لا يلتبس بغيره وهو العنب، والحَبَلة(٩٧).

وبلاغة الوصف هنا في أن جعل «**الكرم**» «**قلب المؤمن**» أو «**الرجل المسلم**» فلم حول النبي ﷺ الوصف هنا إلى الرجل المسلم أو قلبه المؤمن؟

ويبدو لي هنا أكثر من سر: **الأول** : لفت انتباه المسلم، وتحويل فكره عن كل ما يذكر بالمعصية أو

يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه (موضع الوتر من السهم) هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منا في شئ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم» قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟ قال «التحليق» رواه أبو داود —كتاب السنة — باب في قتال الخوارج — ح(٤٧٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح (٤٧٦٥) ٣/ ١٦٩— وابن ماجة — المقدمة — باب في ذكر الخوارج . والتحليق المذكور في آخر الحديث فيه وجهان: أحدهما: استئصال الشعر من الرأس ترويجاً لخبثه وإفساده على الناس وهو كوصفهم بالصلاة والثاني: أن يراد به تحليق القوم وإجلاسهم حلقاً حلقاً. مشكاة المصابيح ٢٨/٧، وشرح الطيبي ١٣٠/٧.

(٩٠) وهما روايتان للبخاري ومسلم كما سبق.

(٩١) وهي رواية للبخاري.

(٩٢) يقتلون أهل الإسلام لتكفيرهم إياهم بسبب ارتكاب الكبائر، ويدعون: أي يتركون أهل عبادة الأصنام من الكفار. عون المعبود ٧٨/١٣، ٧٩.

(٩٣) يقول تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ٩، ١٠). هذا ولقد ذكر ناصح الدين ابن الحنبلي هذا الحديث ضمن أقيسه النبي صلى الله عليه وسلم. ص ١٢٠.

(٩٤) رواه البخاري من حديث أبي هريرة —كتاب الأدب — باب قول النبي : (إنما الكرم قلب المؤمن)- ح (٥٩٦٣) — فتح الباري ٥٨٢/١٠.

(٩٥) رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وفي رواية أخرى لعلقمة بن وائل عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا تقولوا الكرم، ولكن قولوا: الحبلة يعني العنب» وفي رواية أخرى عنه قال: « لا تقولوا الكرم، ولكن قولوا : العنب والحبلة « صحيح مسلم بشرح النووي — باب كراهة تسمية العنب كرماً — ٤/١٥، ٥.

(٩٦) قال الأزهري: وسمي العنب كرماً لأنه ذلل لقاطفه وليس فيه سلّاء يعقر جانيه، ويحمل الأصل منه مثل ما تحمل النخلة فأكثر، وكل شئ كثر فقد كرم، ولكن كره الشرع إطلاق هذه اللفظة على العنب وشجره لأنهم إذا سمعوا اللفظة ربما تذكروا بها الخمر، وهيجت نفوسهم إليها فوقعوا فيها، أو قاربوا ذلك . وقال الخطابي ما ملخصه: إن المراد بالنهي تأكيد تحريم الخمر بمحو اسمها، ولأن في تبقية هذا الاسم تقريراً لما كانوا يتوهمون من تكرم شاربها، فنهى عن تسميتها كرماً. وحكى ابن بطال عن ابن الأنباري أنهم سموا العنب كرماً لأن الخمر المتخذة منه تحث على السخاء، وتأمر بمكارم الأخلاق حتى قال شاعر: * والخمر مشتقة المعنى من الكرم * فلذلك نهى عن تسمية العنب بالكرم حتى لا يسموا أصل الخَمر باسم مأخوذ من الكرم، وجعل المؤمن الذي يتقي شربها، ويرى الكرم في تركها أحق بهذا الاسم. صحيح مسلم بشرح النووي ٤/١٥ ، ٥.

(٩٧) كما في وراية مسلم السابقة، والحبلة بفتح الحاء والباء، وإسكان الباء، والفتح أشهر: شجرة العنب، وقيل : أصل الشجرة، وقيل القضيب، وقيل: الأصل من أصوله فتح الباري ٥٨٣/١٠، ٥٨٤.

يقاربها، وتحويل الفكر إلى كل ما يذكر بالطاعة ويحض عليها. ويبدو ذلك واضحاً من إرادته ﷺ أن يصرف أذهانهم وأفكارهم عن كل ما يتصل بالخمر من قريب أو بعيد(٩٨) وتحويل أفكارهم إلى ما يقرب من الطاعة بربطه هذا الاسم بصفة من صفات المسلم أو قلبه المؤمن، وهي من الصفات التي يحبها الله. **الثاني**: ربط المسلم بالقرآن الكريم، فوصف المسلم بـ «**الكرم**» جاء في القرآن حيث يقول تعالى: ﴿...إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات : ١٣].

وفي هذا تحويل للمسلم إلى الوجهة السليمة مع إضافة معانٍ جديدةٍ تتصل بالمسلم، وما يجب أن يكون عليه من تقوى الله عز وجل . وهذا التصويب النبوي فيه معجزة ظاهرة، فكما كانت العرب قديماً تسمي الخمر بغير اسمها فلقد نبتت نابتة اليوم تسلك نفس السبيل(٩٩)

ومن أسرار جمال هذا الحديث وصف المسلم، ووصف قلبه المؤمن بـ « **الكرم** » فالنبي ﷺ لما بين لهم أن الخمر أم الخبائث والرجس الذي هو من عمل الشيطان صوب رأي من رأى استحقاق هذا بقلب المؤمن الطاهر عن أوضار الرجس والآثام، وأنه معدن مكارم الأخلاق، ومنبعها، ومركز التقوى، وأحرى أن يسمى كرماً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿... فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ وقال: ﴿... أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ...﴾(١٠٠) كأنه ﷺ نبه المسلمين على التحلي بالتقوى، والتزين بها، وأنها رأس مكارم الأخلاق لا ما ذهب إليه الجاهلية . فسمي «**قلب**» المؤمن كرماً لما فيه من الإيمان، والهدى والنور، والتقوى، والصفات المستحقة لهذا الاسم، وكذلك الرجل المسلم(١٠١). وللإمام أبي محمد بن أبي جمرة تحليل دقيق حول الوصف في هذا الحديث وملخصه « لما كان اشتقاق الكرْم من الكرَم، والأرض الكريمة هي أحسن الأرض فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة إلا عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء ؛لأن المؤمن خير من الحيوان، وخير ما فيه قلبه لأنه إذا صلح صلح الجسد كله، وهو أرض لنبات شجرة الإيمان، قال : ويؤخذ منه أن كل خير – باللفظ أو المعنى أو بهما أو مشتقاً منه أو مسمى به – إنما يضاف بالحقيقة الشرعية لأن الإيمان وأهله وإن أضيف إلى ماعدا ذلك فهو بطريق المجاز، وفي تشبيه الكرم بقلب المؤمن معنى لطيف، لأن أوصاف الشيطان تجري مع الكرمة كما يجري الشيطان في بني آدم مجرى الدم، فإذا غفل المؤمن عن شيطانه أوقعه في المخالفة، كما أن من غفل عن عصير كرمة تخمر فتنجس، ويقوي التشبيه أيضاً أن الخمر يعود خلاً من ساعته بنفسه أو بالتخليل فيعود طاهراً. وكذا المؤمن يعود من ساعته بالتوبة النصوح طاهراً من خبث الذنوب المتقدمة التي كان متنجساً باتصافه بها إما بباعث من غيره من موعظة ونحوها وهو كالتخليل، أو بباعث من نفسه وهو كالتخلل. فينبغي للعاقل أن يتعرض لمعالجة قلبه لئلا يهلك وهو على الصفة المذمومة(١٠٢). وفي « الكرمة »

---

(٩٨) فالإسلام كما حرم الانتفاع بالخمر بكل الوسائل المباشرة وغير المباشرة نهى عن ما يدعو إلى تذكرها من الألفاظ ليسد منافذ الحرام، فلقد نهى الشرع عن تخليل الخمر، أو التداوي بها، أو بيعها، أو إهدائها بعد تحريم شربها، فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر يتخذ خلاً ؟ فقال: « لا « رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه. وعن وائل بن حجر أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه عنها فقال: « إنما أصنعها للدواء. قال : إنه ليس بدواء ولكنه داء « رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه. نيل الأوطار ٤٩/٩، ٦٩، ٨٧ للشوكاني– ط دار الفكر – بيروت – (١٤١٩) هـ (١٩٩٨) م.

(٩٩) ولقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الفئة من الناس في أكثر من حديث فقال: (ليشربن أناس من أمتي الخمر، ويسمونها بغير أسمها) رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي مالك الأشعري، وقال (لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه) رواه أحمد وابن ماجة من حديث عبادة بن الصامت، وقال ابن ماجة (تشرب) مكان (تستحل) وقال صلى الله عليه وسلم : (لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب طائفة من أمتي الخمر، ويسمونها بغير اسمها) رواه ابن ماجة من حديث أبي أمامة، وهذه الأحاديث منها ما سنده جيد ، ومنها ما سنده صحيح، وهي أحاديث يقوي بعضها بعضاً كما قال الشوكاني، ويراجع تخريج هذه الأحاديث في نيل الأوطار ٦١/٩، ٦٣ قلت : ذكر ابن القيم في إغاثة اللهفان أنهم كانوا يسمونها في زمنه (أم الأفراح) وفي عصرنا يسمونها (مشروبات روحية) ونحو ذلك فليتأمل المسلم!

(١٠٠) من الآية (١٣) من سورة الحجرات.

(١٠١) صحيح مسلم بشرح النووي ٤،٥/١٥، وشرح الطيبي على المشكاة ٨٣/٩، وفتح الباري ٥٨٣/١٠.

(١٠٢) بهجة النفوس ٤/ ١٨٠ لابن أبي جمرة – ط مطبعة الصدق (١٣٤٨) هـ ، وفتح الباري ٥٨٣/١٠ هذا والوصف بـ « الكرم « قد جاء في أحاديث أخرى تبين ما لهذه الصفة من مكانة ومنزلة لأجلها استحق قلب المؤمن أن يوصف بها ففي الحديث: « قيل : من أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: مجالس الذكر في المسجد» رواه أحمد، وحديث : « سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم» رواه أحمد، وحديث : « إن الله كريم يحب الكرم» رواه الترمذي، وحديث: « كرم الرجل دينه « رواه أحمد، وغير ذلك من الأحاديث، ويراجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في مادة « كرم « أ . ونسنك ١/٦–٣ مطبعة بريل – ليدن – ١٩٦٧م.

شبه من المؤمن لأنها لينة ، قريبة الجنى ، حلوة المذاق ، وتغني عن الطعام لأكلها ، وتغني عن الماء لمن استعملها « كما قال ابن أبي جمرة في الموضع السابق .

وكما جاء تصحيح الاسم والوصف من النبي ﷺ في هذا الحديث بتحويل الوصف بـ «**الكرم**» إلى الرجل المسلم، أو قلبه المؤمن **جاء وصف آخر في مقام النهي عن وصف النفس** بـ «**الخبث**» فقال ﷺ:«**لا يقولن أحدكم خبثت نفسي،ولكن ليقل لقست نفسي**»(١٠٣).

فلفظاً «**الخبث واللقس**» وإن كان المعنى المراد يتأدى بكل منهما إلا أن لفظ «**الخبث**» قبيح، ويجمع أموراً زائدة، فالخبث يطلق على الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح في الفعال، وعلى الحرام، والصفات المذمومة القولية والفعلية(١٠٤) فكره لفظ «**الخبث**» لبشاعة الاسم، وعلمهم الأدب في الألفاظ، واستعمال حسنها، وهجران خبيثها(١٠٥) أما «**اللقس**» فمعناه غثت وضاقت، ويختص بامتلاء الأمعاء(١٠٦) .

وهكذا يصحح النبي ﷺ تصورات المسلمين وأفكارهم، وما ينبغي أن يوصف به المؤمن حتى ولو كان في جانب الذم، فلا ينبغي أن يصف نفسه أو يصفه غيره بما تناهى قبحه ؛ لأن المؤمن لا يخلو من خير ، فيجب أن يظهر جانب الخير فيه وينمى .

* * *

الفصل الثالث:

خصائص الوصف في البيان النبوي

بعد هذه الرحلة الممتعة في رياض البيان النبوي أنتقل إلى الحديث عن أبرز خصائص الوصف في حديث نبينا ﷺ من خلال ما سبق بحثه، وهذه الخصائص تشمل أحاديثاً أخرى، وهي الأحاديث التي سأشير إليها وإلى مواضعها في نهاية هذا الفصل. ولولا خشية الإطالة لتناولتها بالبحث والتحليل البلاغي الذي يكشف عن أسرار جمال الوصف فيها، ولعل هذا العمل يكون فاتحة خير لي ولغيري.

ومن أبرز خصائص الوصف في البيان النبوي:

١- الاقتباس من القرآن، وتفصيل ما أجمله القرآن. ولقد اتضح لنا من خلال الأحاديث التي سبق تحليلها كيف أن البيان النبوي يفسر ما أجمله القرآن معتمداً على الوصف البليغ. كما في حديث « **وصف النخلة وتمثيلها بالمسلم** » وجدنا الوصف النبوي تفصيل لمعنى الإيمان والإخلاص في الآية السابقة.

٢- الوصف النبوي وصف يقلب السمع بصراً، والمعقول محسوساً، ويصور الأمور المعنوية في صورة حسية. وذلك كما في حديث « **وصف النخلة وتمثيلها بالمسلم** »فقد رأينا كيف جسد أخلاقيات المسلم من خلال وصف النخلة.

٣- الوصف النبوي، وصف جامع، وكاشف، وموجز. وهذه الخصيصة من أبرز خصائص الوصف، وقد مضى أمثلة كثيرة لها ومنها حديث: « **وصف النخلة، وتمثيلها بالمسلم**»، فلقد اتضح لنا كيف جمع صفات المسلم، وكشف عن حقيقته من خلال ذكر وصف من أوصاف النخلة، وترك الباقي ليربط المسلم بين صفاته وصفات النخلة، وقد سبق في بداية البحث عند تعريف الوصف عند البلاغيين أن أحسن الوصف ما جاء بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه ويمثله للحس بنعته، ومن أمثلة هذه الخصيصة أيضاً حديث « **وصف الخوارج** » الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ... كيف أتى على أوصافهم في إيجاز دقيق جامع كاشف لا يغادر صفة من صفاتهم.

٤ - الوصف النبوي وصف مفتوح مع الزمان.

فالبيان النبوي لكل العصور، ولكل الناس في كل زمان ومكان، وهذه الخصيصة موجودة في كثير من الأحاديث، وأبرزها الأحاديث التي تتعرض للفتن التي تكون بين يدي الساعة كما في حديث « **وصف الخوارج** » الذي سبقت الإشارة إليه في الخصيصة السابقة.

٥- تلاحم الوصف النبوي مع الغرض المقصود.

---

(١٠٣) رواه البخاري من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه –كتاب الأدب – باب لا يقل: خبثت نفسي – ح (٥٩٦٠) – فتح الباري ٥٧٩/١٠ ، وأخرجه مسلم من حديث عائشة – باب كراهة قول الإنسان خبثت نفسي – صحيح مسلم بشرح النووي ٨/١٥.

(١٠٤) عون المعبود ٢٢١/١٣

(١٠٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/١٥

(١٠٦) فتح الباري٥٨٠/١٠

وهذه خصيصة بارزة في كل مواضع الوصف، وأذكر منها حديث: «**وصف حال أهل الجنة ونعيمهم**» فالنور في ظاهرهم، وباطنهم، وفيما حولهم ... والضياء والصفاء واللمعان والنقاء شعارهم وحالهم، وهذا هو الغرض الذي يرمي إليه الحديث، ولقد جاء الوصف بلوحاته الرائعة ليرسم لنا صورة عن حال هؤلاء تتناسب وتتلاحم مع الغرض السابق.

٦- الوصف النبوي يعتمد التشبيه، والاستعارة، والكناية. والأمثلة على ذلك كثيرة، فالوصف وسيلة من وسائل التصوير، إلا أن التشبيه مجاز، والوصف راجع إلى حقيقة الشئ وذاته . ومثال هذه الخصيصة حديث: « **وصف الخوارج**».

٧- ومن خصائص الوصف في البيان النبوي: **واقعيته وانسجامه مع البيئة.** كما في حديث: « **وصف النخلة**» فإن المعاني التي يشتمل عليها الوصف وصوره المستخدمة من البيئة التي يعيش فيها الناس، وهذا مما يقرب الوصف، ويوضحه، ويمثله للعيان،ويربط بين المعنى المقصود والواقع الذي يعيش فيه الناس، وذلك من خلال الربط بين الوصف والمعنى المقصود. وبعد هذا العرض الموجز لأبرز خصائص الوصف في البيان النبوي —كما ظهرت لي — من خلال التطبيق على الأحاديث التي سبق ذكرها أنتقل إلى الإشارة إلى بعض مواضع أحاديث الوصف التي جاءت في الصحيحين مرتبة على حسب الكتب والأبواب فيهما؛ وذلك لتكتمل معالم البحث، وليرجع إليها من أراد التوسع في معرفة أسرار هذا الفن من فنون البيان النبوي.

من أحاديث الوصف في صحيح البخاري

١- وصف حال المؤمنين والنصارى واليهود في العمل والتمسك بالدين — كتاب مواقيت الصلاة — باب من أدرك ركعة العصر قبل الغروب — ح (٥٤٤ ، ٥٤٥) —٤٦/٢.

٢- وصف المنافق وآياته — كتاب الإيمان — باب علامات المنافق —ح(٣٣) —١١١/١.

٣- وصف جزاء مانع الزكاة — كتاب وجوب الزكاة — باب إثم مانع الزكاة - ح (١٣٧٠) —٣١٤/٣.

٤- وصف حركة الشيطان في جسد ابن آدم — أبواب الاعتكاف — باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟ — باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه ؟ ح (١٩٨٧) — ٣٣١/٤

٥- وصف نار جهنم وحرها — كتاب بدء الخلق — باب صفة النار وأنها مخلوقة ح (٣١٤٩) —٣٨٠/٦.

٦- وصف الواعظ المنافق وعذابه — كتاب بدء الخلق — باب صفة النار وأنها مخلوقة - ح (٣١٥٨) —٣٨١/٦.

٧- وصف الرجاء مع الخوف —كتاب الرقاق — باب الرجاء مع الخوف - ح (٦٢٤٣) —٣٠٧/١١.

من أحاديث الوصف في صحيح مسلم

١- وصف حال آخر أهل النار خروجاً منها — باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار - ٢٩/٣.

٢- وصف من يخرجون من النار — باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار - ٥١/٣.

٣- وصف وسوسة الشيطان في الصلاة — باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه — ٩٢،٩/٤

٤- وصف صلاة المنافق — باب استحباب التبكير بالعصر - ١٢٣/٥.

٥- وصف أرواح الشهداء ومكانها — باب في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ٣١/١٣.

٦- وصف الحوض — باب إثبات حوض نبينا ﷺ —٥٣/١٥- ٦٣.

٧- وصف حركة الشيطان في جسم ابن آدم — باب دفع ظن السوء — باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول : هذه فلانة ليدفع ظن السوء به — ١٥٥/١٤- ١٥٧

٨- وصف من يأتي بعد القرون الفاضلة — باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - ٨٥/١٦.

٩- وصف شجرة في الجنة — كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - ١٦٧/١٧.

١٠- وصف خيمة المؤمن في الجنة — كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - ١٧٦/١٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفي ﷺ

وبعد ،

فلقد اتضح من خلال البحث النتائج التالية :

١- من خلال الفصل الأول ومباحثه اتضح معنى الوصف عند اللغويين، والبلاغيين، والنحويين، والعلاقة بين الوصف والتصوير، وعلاقة الوصف بالخيال، وتنوع الوصف في البيان النبوي.

٢- واتضح لنا من خلال الفصل الثاني - وهو الجانب التطبيقي من البحث على بعض أحاديث الوصف في الصحيحين- أهمية الاتجاه الأدبي في التحليل البلاغي للبيان النبوي، وقد جمعت في الجانب التطبيقي بين الاتجاهين: الأدبي والعلمي مع ظهور الاتجاه الأول لأهميته في هذا الميدان للأسباب التي سبق ذكرها ، واتضح لنا كذلك من خلال الجانب التطبيقي ارتباط البيان النبوي بمنبعه الأصيل وهو البيان القرآني، وذلك من خلال الربط بين أحاديث الوصف، والآيات القرآنية المتفقة معها في الموضوع.

٣- وفي الفصل الثالث تبين لنا خصائص الوصف في البيان النبوي، وهذه الخصائص لاحظتها من خلال الجانب التطبيقي من البحث،وبعد ذلك جاءت الإشارة إلى بعض أحاديث الوصف الأخرى في الصحيحين، مرتبة حسب الكتب والأبواب في الصحيحين حتى يسهل الرجوع إليها لمن أراد التوسع في معرفة أسرار هذا الفن من فنون البيان النبوي.

والله أسأل أن يتقبل منا صالح العمل ، وأن يجنبنا الزلل ، وألا يحرمني أجره، وأن يعلمني ما ينفعني، وينفعني بما علمني إنه سميع قريب مجيب.وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم
٢. (إبراهيم) محمد إسماعيل . معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ط دار الفكر العربي – ط ثالثة – (١٣٨٨) هـ (١٩٦٨) م .
٣. (ابن الأثير) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت (٦٠٦)هـ . النهاية في غريب الحديث والأثر – ط دار إحياء التراث العربي – (١٣٨٣)هـ (١٩٦٣)م – تحقيق الأستاذ/ الطاهر أحمد الزاوي، والدكتور/ محمود الطناحي .
٤. (ابن الأثير) ضياء الدين أبو الفتح محمد بن محمد الجزري ت (٦٣٧)هـ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر– ط بولاق – (١٢٨٢) هـ، وكفاية الطالب فة نقد كلام الشاعر والكاتب – تحقيق الأستاذ الدكتور/ نوري القيسي ، والأستاذ الدكتور/حاتم الضامن– منشورات جامعة الموصل .
٥. (ابن الأثير الحلبي) نجم الدين أحمد بن إسماعيل ت (٧٣٧)هـ . جوهر الكنز – تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة – ط منشأة المعارف بالإسكندرية – تحقيق الأستاذ الدكتور / محمد زغلول سلام .
٦. (الألباني) محمد ناصر الدين . سلسلة الأحاديث الصحيحة – ط مكتبة المعارف – الرياض – ط أولى – (١٤١٦)هـ (١٩٩٦)م ، وصحيح سنن أبي داود – ط مكتبة المعارف – الرياض – ط أولى – ١٤١٩هـ (١٩٩٨)م .
٧. (البخاري) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت (٢٥٦) هـ . صحيح ط الرياض – ط أولى– (١٤٢١)هـ (٢٠٠١)م .
٨. (بدوي) أحمد . أسس النقد الأدبي – ط نهضة مصر – (١٩٩٦)م.
٩. (أبوالبقاء الكفوي) أيوب بن موسى الحسيني ت (١٠٩٤)هـ . الكليات ط مؤسسة الرسالة – ط أولى (١٤١٢) هـ (١٩٩٢) م.
١٠. (البيومي) محمد رجب . البيان النبوي– ط دار الوفاء – ط ثانية – (١٤٢٣)هـ (٢٠٠٢)م.
١١. (التبريزي) محمد بن عبد الله الخطيب ت:٧٤٠هـ . مشكاة المصابيح ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى (١٤٢٢)هـ (٢٠٠١) م.
١٢. (الترمذي) أبو عيسى محمد بن سورة ت (٢٧٩) هـ

. جامع الترمذي ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى (١٤١٠)هـ (١٩٩٠) م.

١٣. (التفتازاني) سعد الدين ت (٧٩١) هـ . المختصر– ضمن شروح التلخيص – ط دار السرور – بيروت – بدون تاريخ.

١٤. (الثعالبي) أبو منصور بن عبد الملك ت:٤٢٩هـ فقه اللغة وسر العربية ط دار الكتب العلمية – بيروت.

١٥. (الجاحظ) أبو عثمان عمرو بن بحر ت:٢٥٥هـ . البيان والتبيين تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون – ط دار الجيل – (١٤١٠) هـ (١٩٩٠) م.

١٦. (الجرجاني) عبد القاهر ت (٤٧١) هـ . أسرار البلاغة تحقيق العلامة/ محمد رشيد رضا – ط دار الكتب العلمية – ط أولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

١٧. (الجرجاني) علي بن محمد ت (٨١٦) هـ . التعريفات تحقيق الأستاذ / إبراهيم الإبياري – ط الريان – بدون تاريخ.

١٨. (ابن جعفر) أبو الفرج قدامة ت:٣٣٧هـ

١٩. نقد الشعر تحقيق الأستاذ الدكتور/ عبد المنعم خفاجي – ط أولى (١٣٩٨) هـ (١٩٧٨) م.

٢٠. (ابن أبي جمرة) أبو محمد عبد الله الأندلسي ت (٦٩٩)هـ . بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري المسمى جمع النهاية في بدء الخير والغاية ط مطبعة الصدق (١٣٤٨) هـ ، وط مجلة الأزهر (١٤٢٣)هـ

٢١. (حسين) محمد الخضر . الخيال في الشعر العربي– ط تونس – ط ثانية(١٣٩٢)هـ .

٢٢. (ابن الحنبلي) ناصح الدين عبد الرحمن الأنصاري المعروف ت (٦٣٤) هـ . أقيسة النبي المصطفي محمد ﷺ تحقيق الأستاذ/ أحمد حسن جابر، والأستاذ/ علي أحمد الخطيب – ط المكتبة العصرية – بيروت – (١٤١٥)هـ (١٩٩٤) م.

٢٣. (أبو حيان الأندلسي) محمد بن يوسف ت (٧٥٤) هـ . البحر المحيط تحقيق الأستاذ/ صدقي محمد جميل – ط دار الفكر – بيروت – (١٤١٢) هـ (١٩٩٢) م.

٢٤. (الخطيب القزويني) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ت (٧٣٩) هـ . الإيضاح لتلخيص المفتاح تحقيق الأستاذ/ عبد المتعال الصعيدي – ط مكتبة الاداب – (١٤١٧)هـ (١٩٩٧) م.

٢٥. (الخن) مصطفي وآخرين . نزهة المتقين في شرح رياض الصالحين ط مؤسسة الرسالة – ط الثالثة والعشرون – (١٤١٦) هـ (١٩٩٦) م.

٢٦. (الدسوقي) محمد بن أحمد بن عرفة المالكي ت (١٢٣٠) هـ . حاشية الدسوقي على مختصر سعد الدين التفتازاني ط دار السرور – بيروت.

٢٧. (الدينوري) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت(٢٧٦) هـ .أدب الكاتب تحقيق الشيخ/ محمد محيي الدين عبد الحميد – ط ثانية.

٢٨. (الراغب الأصفهاني) أبو القاسم الحسين بن محمد ت (٥٠٢) هـ . المفردات في غريب القرآن تحقيق الأستاذ/ محمد خليل عيتاني – ط دار المعرفة – بيروت – ط ثانية (١٤٢٠) (١٩٩٨) م.

٢٩. (الرافعي) مصطفي صادق . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ط مكتبة الإيمان – ط أولى – (١٤١٧)هـ (١٩٩٧) م.

٣٠. وحي القلم – ط دار الكتاب بيروت – بدون تاريخ.

٣١. (الزركشي) بدر الدين محمد بن عبد الله ت (٧٩٤) هـ . البرهان في علوم القرآن تحقيق الأستاذ/ محمد أبي الفضل إبراهيم – ط المكتبة العصرية – بيروت.

٣٢. (الزمخشري) جار الله أبوالقاسم محمد بن عمر ت (٥٣٨) هـ . أساس البلاغة– ط مطبعة دار الكتب – ط ثانية – (١٩٧٢).

٣٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تحقيق الأستاذ / عبد الرزاق المهدي – ط دار إحياء التراث العربي – ط أولى – (١٤١٧) هـ (١٩٩٧) م.

٣٤. (الزير) محمد حسن . القصص في الحديث النبوي– ط مكتبة طيبة – الرياض – ط رابعة (١٤١٨) هـ (١٩٩٧) م.

٣٥. (الساعاتي) أحمد عبد الرحمن البنا . الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني – ط دار

إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٦. (السامرائي) مهدي صالح . تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية– ط المكتب الإسلامي.

٣٧. (السبكي) بهاء الدين ت (١٣١٧) هـ . عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ط دار السرور – بدون تاريخ .

٣٨. (السجستاني) سليمان الأشعث ت (٢٧٥) هـ . سنن أبي داود ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤١٥)هـ (١٩٩٥) م.

٣٩. (السكاكي) أبو يعقوب يوسف بن محمد ت (٦٢٦) هـ . مفتاح العلوم ط مصطفي البابي الحلبي – ط أولى .

٤٠. (السيوطي) جلال الدين ت (٩١١) هـ . تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي تحقيق الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم – ط – دار الكتاب العربي – (١٤١٧) هـ .

٤١. (الشريف الرضي) محمد بن حسين بن موسى ت (٤٠٦) هـ . تلخيص البيان في مجازات القرآن. تحقيق الأستاذ / محمد عبد الغني حسن – ط دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي – بدون تاريخ.

٤٢. المجازات النبوية تحقيق الأستاذ/ طه عبد الرؤوف سعد – ط مصطفي البابي الحلبي – ط الأخيرة (١٣٩١) هـ (١٩٧١) م.

٤٣. (شمس الحق) أبو الطيب محمد العظيم آبادي . عون المعبود شرح سنن أبي داود– ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤١٥) هـ (١٩٩٥) م.

٤٤. (الشهاب الخفاجي) شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي ت (١٠٦٩) هـ . حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للعلامة – ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٥. (الشهرستاني) محمد بن عبد الكريم ت (٥٤٨) هـ تحقيق الأستاذ / أحمد فهمي محمد ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤١٣) هـ (١٩٩٢) م .

٤٦. (الشوكاني) محمد بن علي بن محمد ت:١٢٥٥هـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ط دار الفكر – بيروت – (١٤١٩) هـ (١٩٩٨) م.

٤٧. (الصباغ) محمد لطفي . التصوير الفني في الحديث الشريف– ط المكتب الإسلامي – ط أولى – ١٤٠٩هـ (١٩٨٨)م.

٤٨. الحديث النبوي مصطلحه ، بلاغته ، كتبه – ط المكتب الإسلامي – ط سادسة – (١٤١١) هـ (١٩٩٠) م.

٤٩. (الصنعاني) محمد بن إسماعيل الأمير ت:١١٨٢هـ . سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام تحقيق الشيخ / طارق عوض الله – ط دار العاصمة – الرياض – ط أولى – (١٤٢٢)هـ (٢٠٠١) م.

٥٠. (الطيبي) الحسين بن عبد الله ت (٧٤٣) هـ . شرح الطيبي على مشكاة المصابيح والمسمى الكاشف عن حقائق السنن ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى – (١٤٢٢) هـ (٢٠٠١) م.

٥١. (العباسي) عبد الرحيم بن أحمد ت (٩٦٣) هـ . معاهد التنصيص على شواهد التلخيص تحقيق الشيخ / محمد محيي الدين عبد الحميد – ط عالم الكتب – بيروت – (١٣٦٧) هـ (١٩٤٧) م.

٥٢. (عبد الباقي) محمد فؤاد . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ط دار الحديث – ط أولى ١٤٠٦هـ (١٩٧١) م.

٥٣. (العسقلاني) أحمد بن علي بن حجر ت:٨٥٢هـ . فتح الباري شرح صحيح البخاري ط الرياض – ط أولى – (١٤٢١)هـ (٢٠٠١) م.

٥٤. هدي الساري مقدمه فتح الباري– ط الرياض.

٥٥. (العسكري) أبوهلال الحسن بن عبد الله ت (٣٩٥)هـ . الصناعتين الكتابة والشعر تحقيق الأستاذ الدكتور/ مفيد قميحة – ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤٠٩)هـ .

٥٦. (العقدة) فتحية فرج . من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف– ط مطبعة الأمانة ط أولى (١٤١٤) هـ (١٩٩٣) م.

٥٧. (العمادي) أبو السعود محمد ت (٩٥١) هـ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ط دار الفكر – بدون تاريخ.

٥٨. (الفيروزآبادي) مجد الدين محمد بن يعقوب ت (٨١٧) هـ . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تحقيق الشيخ / علي النجار – ط المكتبة العلمية – بدون تاريخ.

٥٩. (الفيومي) أحمد بن علي ت (٧٧٠) هـ . المصباح المنير ط مكتبة لبنان (١٩٨٧)هـ.

٦٠. (القاسمي) محمد جمال الدين . قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ت (١٣٣٢) هـ ط دار الكتب العلمية .

٦١. (القرطبي) أبو عبد الله بن أحمد ت (٦٧١) هـ الجامع لأحكام القرآن ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط خامسة – (١٤١٧) هـ .

٦٢. (القشيري) أبو الحسين مسلم بن الحجاج ت (٢٦١)هـ . صحيح مسلم ط دار إحياء التراث العربي.

٦٣. (قطب) سيد . التصوير الفني في القرآن – ط دار الشروق – ط الثانية عشرة – ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٦٤. (القيرواني) أبوعلي الحسن بن رشيق ت (٤٥٦)هـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق الشيخ / محمد محيي الدين عبد الحميد – ط دار الجيل – ط خامسة – (١٤٠١) هـ (١٩٨١) م.

٦٥. (ابن القيم) شمس الدين محمد بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية ت (٧٥١) هـ . الأمثال في القرآن تحقيق الأستاذ/ سعيد محمد نمر – ط دار المعرفة – بيروت.

٦٦. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان تحقيق دكتور / محمد عثمان الخشت – ط مكتبة القرآن.

٦٧. (ابن كثير)عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ت (٧٧٤)هـ . الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث تحقيق الشيخ / أحمد شاكر – ط مكتبة دار التراث – (١٤٢٣) هـ (٢٠٠٢) م.

٦٨. تفسير القرآن العظيم تحقيق الأستاذ / خالد محمد محرم – ط المكتبة العصرية – ط أولى (١٤١٦)هـ (١٩٩٦) م.

٦٩. (لاشين) عبد الفتاح . البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم– ط دار الفكر العربي – (١٤٢٠)هـ (٢٠٠٠) م .

٧٠. (المباركفوري) أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ت (١٣٥٣) هـ . تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى – (١٤١٠)هـ (١٩٩٠) م.

٧١. (مجمع اللغة العربية) المعجم الوسيط – ط الثانية – ط الشروق الدولية – ط الرابعة – (١٤٢٦) هـ (٢٠٠٥) م.

٧٢. (محمود) عبد المجيد . أمثال الحديث مع تقدمة في علوم الحديث– ط مكتبة التراث – ط أولى .

٧٣. (المديني) أبو موسى محمد بن أبي عيسى ت (٥٨١) هـ . المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث تحقيق الأستاذ / عبد الكريم الغرباوي – ط دار المدني – جدة – ط أولى (١٤٠٦)هـ (١٩٨٦) م.

٧٤. (المغربي) أبو يعقوب ت (١١١٠)هـ . مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ط دار السرور – بيروت – بدون تاريخ.

٧٥. (ابن منظور) جمال الدين محمد ت (٧١١) هـ . لسان العرب ط دار صادر – بيروت – ط ثالثة – (١٤١٤) هـ (١٩٩٤) م.

٧٦. (ابن ناقيا) أبوالقاسم عبد الله بن محمد البغدادي ت (٤٨٥) هـ . الجمان في تشبيهات القرآن تحقيق الكتور/ محمد الداية – ط دار الفكر ط أولى – (١٤٢٣) هـ .

٧٧. (النووي) يحيى بن شرف الدين . صحيح مسلم بشرح النووي ت (٦٧٦) هـ ط دار إحياء التراث العربي.

٧٨. (ونسنك) أ. ي. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي – مطبعة بريل – ط ليدن.

٧٩. (ابن يعيش) موفق الدين يعيش النحوي ت (٦٤٣) هـ . شرح المفصل ط عالم الكتب – بيروت – بدون تاريخ.

Rhetorical analystic Study for Descriptive Hadith Applied in the Tow Books of Hadith for El-Bukhari and Muslim

M.A.Al-Hmzawi

Faculty of Arts and Humanities - Jazan University

Abstract

This research is a rhetorical analystic study for descriptive Hadith applied in the tow books of Hadith for El-Bukhari and Muslim . It includes the definition of description according to linguists ، whetaricalists and grammarians . It shows the relation at description and imagination . It also shows the descriptive diversions in what Prophet Muhammed (peace be upan him) explained . The application also concerns some of descriptive sayings in the two books showing the secrets of beauty and accuracy of description with bringing up the characteristics of it through application and analyzing . At the end of the research we draw the reader's attention to these characteristic with explaining the places of other descriptive sayings in those books . I combined between the suentitic and literary dimentions in a rhetorical analystic way – 1concentrated on the last one (literary) because of it's effects on bringing out the secrets of beauty in the hadith and transforming it to the readers ،so the realer feel and sense that beautiness in the text far away from the rhetorical termonologies which are dilticult for non-spacialist .This research concerns the two books for EL-Bukhari and Muslim only that is because of their tame ، correctness and Intensity of descriptive sayings in one hand، and for summarizing the research in other hand .This choice for Al-Bukharis Muslim`s not means the other's are not correct or have no descriptive sayings .My system of application in the resarrch touows the same order of books and units in these books with introducing Al-Bukhari`s system because of his translating units which bewilder openions and ideas . In addition to it's accurly ، Islamic rules and better ardering . I also depend the order of the Hadith it is only found in mulslims .This system will make it easy for the reader to find the Hadith in it's book and unit .

Keywords: Rhetorical analystic - Hadith applied – El-Bukhari – Muslim – Literary.

E-mail: mohamed_elhamzawy2001@yahoo.com

ISSN: 6050-1658